wadod.org

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق

عدد خاص عن الغرب الإسلامي ـ الإصدار الأول

في هذا العدد:

- جوانب من تاريخ الأشراف بالمغرب وتحقيق أنسابهم ..... د. خالد بن أحمد الصقلي
- مسالك التأليف في فقه النوازل بالمغرب الإسلامي..... د. مصطفى الصمدي
- دراسة تحليلية في رسائل فضائل أهل الأندلس..... د. هدى شوكت بهنام
- ابن ملكون النحوي، من خلال مخطوط (إيضاح المنهج)..... أ. محمد الجيري
- من شعراء الغزل في الأندلس..... د. قدام سعيدة
- فضائل أهل الأندلس ــ نصّان جديدان..... د. محمود خياري
- شعر أبي علي بن كسى المالقي (ت٦٠٣ أو ٦٠٤)..... د. سليمان القرشي
- المقري التلمساني والتواصل بين المغرب والمشرق..... أ. د. ابتسام مرهون الصفار
- مالك بن المرحل ــ حياته وشعره..... أ. نجيب الجباري
- المؤلفات الأندلسية والمغربية في الرد على ابن حزم الظاهري..... د. سمير القدوري
- تفسير مكي بن أبي طالب القيسي..... أ. عبد اللطيف دهاج
- ورقات عن حضارة المرينيين..... أ.د. بدري محمد فهد
- ملاحظات وتعقيبات على تحقيق كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء

..... د. محمد الحافظ الروسي

- إصدارات ..... أ. حسن عريبي الخالدي

المجلد الحادي عشر والثاني عشر ـ السنة الثالثة ـ صيف ـ خريف ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

wadod.org

المؤلفات الأندلسية والمغربية في الرد على ابن حزم الظاهري

ـ دراسة تاريخية وببليوغرافية ـ

الأستاذ سمير القدوري(*)

مقدمة:

نريد في هذا البحث رصد المنازلات الفكرية بين ابن حزم الظاهري الأندلسي (ت٤٥٦هـ) وبين خصومه في حياته وبعد مماته، لأنه بعدما اختار ابن حزم باجتهاده رأي الإمام الشافعي أولاً وناضل عنه، استهدف بذلك لكثير من فقهاء وقته وعيب بالشذوذ. لكنه لم يلبث أن عدل عن مذهب الشافعي إلى القول بالظاهر وإبطال القياس على مذهب داود بن علي الأصفهاني. فنقح هذا المذهب وجادل عنه ووضع الكتب في بسطه، فكان اختياره هذا فتيلاً أزند نار الحرب بينه وبين المالكية في الأندلس، الذين سلكوا جميع السبل للنيل من ابن حزم: كالمغالبة بإثارة العامة والمطالبة عند السلطان، ومكاتبة القضاة والفقهاء في الأندلس وخارجها. فما زاد كيدهم ابن حزم إلا صموداً وتصميماً على رأيه واجتهاداً في نشره بين الطلبة بالتدريس والتصنيف، وخوض المناظرات مع المالكية في المحافل العظام بمحضر السلاطين والحكام سالكاً مسلك الإفحام والإلزام.

فاستطاع بذلك اكتساب أنصار كثر ساعدوه على نشر مذهبه وذيوع سيطه، وتعدد نسخ مؤلفاته حتى سارت بها الركبان. ثم استمرت المجادلات والمنازعات بين أنصار ابن حزم وبين خصومه، قروناً عديدة ظهرت بسببها تآليف كثيرة في الأندلس والمغرب تحمل عنواناً واحداً هو «الرد على ابن حزم» وكانت تلك الصراعات المذهبية أشد ضراوة في عصر الدولة الموحدية، لأن حكامها التزموا القول بالظاهر مذهباً رسمياً، وأصدروا أوامرهم الصارمة بمراعاة ذلك في الإفتاء والتدريس والتأليف، وامتحنوا علماء الفروع من المالكية، وأحرقوا دواوينهم المعتمدة مثل الواضحة والعتبية والمستخرجة والمدونة[1] إلخ..

---

* أستاذ في جامعة الرباط ـ المغرب.

(١) قال عبد الواحد المراكشي: «وفي أيامه (أي يعقوب المنصور الموحدي) انقطع علم الفروع، =

wadod.org

فكان من ردود الفعل على هذا أن تصدى كبار علماء المالكية للرد على ابن حزم، وتتبع تناقضاته التي في كتبه وإخراجها في تصنيف مستقل، للاستدلال على أنه لا يستحق أن يسمى «حجة الأيام وقدوة الأنام».

فقام السلطان بامتحان جملة من أولئك العلماء بالسجن والنكال، جزاء على تجرؤهم على الإمام ابن حزم وطعنهم عليه.

ولم تهدأ هذه الزوبعة بل ظلت ثائرة حتى القرن الثامن، ثم خمدت خلال القرن التاسع تقريباً لتحيى مجدداً بمراكش في أيام السعديين على يد أبي عبد الله الأندلسي، الذي كان ينحو منحى ابن حزم في نفي القياس ورفض التقليد المذهبي، فصار له أتباع عديدون، وكانوا يسمون أنفسهم بالمحمدية ويدعون خصومهم بالمالكية. وقد ألف بعض الفقهاء في الرد على هذه الطائفة كما سنشرح ذلك فيما بعد.

ولم أقف في الدراسات التي كتبت عن ابن حزم على مقال في هذه القضية المهمة في تاريخ الفكر الأندلسي، اللهم تلك الإشارات العابرة ببعض الأطروحات الجامعية حول ابن حزم، وكنت قد قمت مؤخراً بنشر مقال[1] عن كتاب «التنبيه على شذوذ ابن حزم» للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي (ت٤٨٦هـ) وبينت فيه أهمية هذا الكتاب، وأنه ضم في طياته معلومات تاريخية فريدة بشأن ابن حزم وكتبه ومذهبه وأنصاره وخصومه، فمهد ذلك لي كثيراً من الصعاب فيما يخص جدل ابن حزم مع الفقهاء المعاصرين له، وألقى مزيداً من النور على حياته بالأندلس، فأصبح من الميسور فك رموز تلك النصوص المختصرة التي وردت عند ابن حيان بخصوص اضطهاد ابن حزم وتشريده إلى بلدة آبائه: لبلة.

فعزمت بحول الله، على تحرير دراسة شاملة عن «المؤلفات الأندلسية والمغربية في الرد على ابن حزم»، والاستفادة من المخطوطات التي سلمت من الضياع، واستخراج النقول المتناثرة عن بعض الردود المفقودة: ككتاب «الرد على ابن حزم» لأبي بكر بن مفوز الشاطبي (ت٥٠٥هـ)، وكتاب «الرد على ابن حزم» لأبي بكر عبد الله بن طلحة اليابري (ت٥١٨هـ). وتحديد هوية «الهاتف من بعد» الذي تعرض بالسباب لأبي محمد ابن حزم في رسالة وجهها

= وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل ذلك فأحرق منها جملة في سائر البلاد (..) لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة (..) وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك (..) وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده، إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا..) كتاب المعجب، لعبد الواحد المراكشي صفحة ٤٠٠ـ ٤٠١.

(١) انظر: سمير القدوري «مخطوطة أندلسية فريدة في الرد على ابن حزم الظاهري» مجلة الذخائر «لبنان» عدد ٥ السنة ٢/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. صفحات ٢٣٩ـ٢٥٦.

wadod.org

إليه دون أن يفصح عن نفسه، وبينت خطأ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري. الذي نسب تلك الرسالة - بدون حجة - إلى أبي الوليد بن البارية أحد فقهاء ميورقة الذين هزمهم ابن حزم في محفل المناظرة.

وقد استقصيت بحمد الله معلومات وفيرة عن ٢٣ تصنيفاً في الرد على ابن حزم، ألفت ما بين القرن ٥هـ إلى القرن ١٠هـ، ومعلومات كذلك عن رسائل المالكية، الموجهة إلى السلاطين والفقهاء والقضاة ضد ابن حزم نفسه.

متى كانت دراسة ابن حزم للفقه؟

لقد اغتر بعض من أرخ للفقه الإسلامي برواية مدخولة أوردها ياقوت الحموي في معجم الأدباء[١] ونقلها عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء[٢]، وملخصها «أن ابن حزم لم يبدأ دراسة الفقه إلا وهو ابن ٢٦ عاماً، على يد الفقيه القرطبي أبي عبد الله ابن دحون، وتتابعت قراءته للموطأ عليه لمدة ثلاث سنوات أي حتى بلغ سن ٢٩».

والذي يبين أوجه الوضع في هذه الرواية: أمور كثيرة نذكر منها:

شهادة أبي عبد الله الحميدي لشيخه ابن حزم بأنه «سمع سماعاً جماً، وأول سماعه عن أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور، قبل الأربعمائة»[٣]. أي أن ابن حزم أخذ عن هذا الشيخ قبل بلوغه ١٦ عاماً.

أما مرويات ابن حزم عن ابن الجسور فنذكر منها:

موطأ مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي.

مدونة سحنون (في الفقه المالكي).

مسند أبي بكر ابن أبي شيبة.

فقه أبي عبيد القاسم بن سلام.

بل إن ابن حزم قد أخذ كذلك كتاب صحيح البخاري عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الهمذاني (ت٤١١هـ). وذلك بأحد مساجد قرطبة سنة ٤٠١هـ، وأخذ عن ابن الفرضي (ت٤٠٣هـ) ودرس الحديث والجدل عن أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد المصري الأزدي الوافد على الأندلس سنة ٣٩٤هـ ثم غادرها بعيد ٤٠٠[٤].

فما ظنكم برجل درس كل هذه المؤلفات على مثل هؤلاء الأعلام قبل بلوغه ٢٠ سنة، هل يجهل أبسط أمور الصلاة كما تزعم تلك الرواية؟ وهل حقاً عرف الموطأ أولاً عندما بلغ ٢٦ عاماً؟

---

(١) ج٤/ ١٦٥٢ - ١٦٥٣ رقم ٧٢٠، تحقيق د. إحسان عباس، ط بيروت ١٩٩٣م.

(٢) راجع الجزء ١٨ صفحة ١٩٩.

(٣) جذوة المقتبس، ترجمة رقم ٧٠٨ (ابن حزم)

(٤) راجع بشأن هذا كله: محمد المنوني «شيوخ ابن حزم في مروياته ومقروءاته «مجلة المناهل عدد ٧ سنة ١٩٧٦م صفحات: ٢٤١-٢٦٠.

wadod.org

وقد كنت أحصيت لابن حزم ٥٢ شيخاً روى عنهم كتب الحديث والفقه واللغة والأدب والعلوم الإسلامية، وليس هما موضع تفصيل الكلام عنهم.

وتزعم تلك الرواية أن ابن حزم بدأ المناظرة في سن ٢٩ من عمره، كما يستنبط من نصها، وهذا باطل لأن ابن حزم ذكر في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل[١] أنه ناظر سنة ٤٠٤هـ، الحبر اليهودي شمويل ابن النغريلة، أي عندما كان في سن العشرين، لأن ابن حزم ولد في سنة ٣٨٤هـ.

تمذهب ابن حزم بغير المذهب المالكي ومحنته بقرطبة:

يخبرنا المؤرخ القرطبي ابن حيان أن ابن حزم مال أمره إلى مذهب الشافعي واشتهر به وعيب من أجل ذلك بالشذوذ[٢]. لكنه لم يحدد لنا متى كان ذلك. وشهد بتمذهبه للشافعي كذلك أبو سليمان المصعب بن الفقيه أبي محمد بن حزم عندما قرره على ذلك الفقيه عيسى ابن سهل[٣].

وقد وفقنا للعثور على نص مهم يشير إلى تاريخ هذا التحول، بالتقريب، قال ابن حيان[٤]: «كان أبو الخيار مسعود بن سليمان ابن مفلت (ت٤٢٦هـ) الشنتريني فقيهاً ناسكاً نحوياً أديباً متكملاً متديناً جامعاً لصنوف من العلم، يتمذهب بمذهب داود علي القياسي، فكان (يذمه) الفقهاء.. ويغضون في (كل الأوقات) منه، حتى أقيم من المسجد الجامع من مجلسه، وصاحبه أبو محمد بن حزم، وكان لهما جميعاً في الجامع كل واحد مجلس يجلس فيه لتفقيه من تحلق إليهما من العامة، من غير رأي مالك بن أنس، فتقدم إلى صاحب المدينة بالأمر إلى هذين الرجلين بالقيام وترك التحلق، ومنع العامة عن الاجتماع إليهما ونهيهما عن الفتوى لأحد منهم، ففعل ما أمر به، وعجل على قوم منهم بالسجن والامتهان فتفرقوا واضمحل أمرهما. وكان المتجرد للنكير عليهما أبو بكر المعروف بابن أبي القراميد، وكان صليب القناة في الحكومة خاطب بشأنهما الخليفة هشام بن محمد، وهو يومئذ بالثغر، فأجابه يستصوب رأيه في ذلك، فتمادى الرجلان على انقباضهما». أ.هـ.

هذا الحدث كان يقيناً بقرطبة لأن ابن أبي القراميد المذكور هو: أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي، من أهل قرطبة، ولي أحكام الشرطة والسوق بقرطبة (ت٤٣٢هـ)[٥]. ومن المعلوم أن الخليفة هشام بن محمد المعتد بالله بايعه أهل قرطبة وغيرها

---

(١) الجزء الأول صفحة ٢٢٥ـ ٢٤٥.

(٢) كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم١. المجلد ١. صفحة ١٦٧. ابن بسام.

(٣) مقالي المذكور سابقاً صفحة ٢٤٣.

(٤) النص نقله اسين بلاثيوس في المجلد الأول من كتابه عن ابن حزم القرطبي (بالإسبانية). صفحة ١٣٦ـ ١٣٧ تعليق رقم: ١٧٠. (راجع المراجع الأجنبية في آخر المقال).

(٥) ابن بشكوال: كتاب الصلة ترجمة رقم ١١٤٢. (القسم الثاني، ص٥٢٢ـ ٥٢٣)

wadod.org

في ربيع الآخر سنة ٤١٨هـ وكان حينها بحصن البونت بالثغر (شمال بلنسية) وقضى هناك عامين، ثم دخل قرطبة في سنة (٤٢٠هـ). وقول ابن حيان أن ابن «أبي القراميد راسل الخليفة هشام بن محمد - بشأن ابن حزم وشيخه أبي الخيار - وهو لا يزال بالثغر» فيه دليل على أن ذلك الأمر حدث يقيناً بين ٤١٨ و٤٢٠هـ[١].

وفي النص دلالة واضحة على أن ابن حزم كان يفقه العامة على غير مذهب مالك بن أنس، فربما كان يدرس الفقه على مذهب الشافعي.

وكذلك وقعت مناظرة بقرطبة بين ابن حزم وبين الفقيه: الليث بن حريش العبدري[٢] (ت٤٢٨هـ).

قال ابن حزم:[٣] «..وقد عارضت بنحو من هذا الكلام الليث بن (أحمد بن) حريش العبدري في مجلس القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن بشر رحمه الله. وفي حفل عظيم من فقهاء المالكيين، فما أحد منهم أجاب بكلمة معارضة، بل صمتوا كلهم، إلا قليلاً منهم أجابوني بالتصديق لقولي. وذلك أني قلت له: «لقد نسبت إلى مالك رضي الله عنه، ما لو صح عنه لكان أفسق الناس، وذلك أنك تصفه بأنه أبدى إلى الناس المعلوم والمتروك والمنسوخ من روايته، وكتمهم المستعمل والسالم والناسخ حتى مات ولم يبده إلى أحد. وهذه صفة من يقصد إلى إفساد الإسلام، والتلبيس على أهله، وقد أعاذه الله من ذلك، بل كان عندنا أحد الأئمة الناصحين لهذه الملة، ولكنه أصاب وأخطأ، واجتهد فوفق وحرم، كسائر العلماء ولا فرق..».

وهذه المناظرة جرت يقيناً بين ٤٠٩هـ و٤١٦هـ. لأن القاضي عبد الرحمن بن بشر ولاه علي بن حمود القضاء سنة ٤٠٧ فبقي فيه إلى آخر سنة ٤١٩هـ[٤] وابن حزم خرج عن قرطبة سنة ٤٠٤هـ ولم يدخلها إلا في سنة ٤٠٩هـ وكان بشاطبة سنة ٤١٧هـ[٥]. وقد بينت سابقاً أن ابن حزم كان بقرطبة بين ٤١٨-٤٢٠هـ فلعل تلك المناظرة جرت قبل ٤١٩ بيسير. وخلاصة القول: إن ابن حزم انتحل مذهب الشافعي قبل ٤١٩هـ.

---

(١) عبد الواحد المراكشي كتاب المعجب، ص ٨٧-٨٨. وهو ينقل نصاً عن جذوة المقتبس للحميدي.

(٢) أبو الوليد: الليث بن أحمد بن حريش العبدري من أهل قرطبة، كان في عداد المشاورين بها وكان عالماً بالرأي وذا نصيب وافر من علم الحديث (..) واستقضي بالمرية وبها توفي في عقب صفر سنة ٤٢٨، عن ابن بشكوال: الصلة ترجمة رقم ١٠٢٨ (قسم ٢/ ٤٧٦)

(٣) ابن حزم: كتاب الإحكام في أصول الأحكام الجزء الثاني صفحة ١٢٢، وقد تحرف فيها اسم الليث بن حريش العبدري إلى «الليث بن حرفش العبدي فتأمله».

(٤) ابن بشكوال: الصلة ترجمة رقم ٦٩٨ (قسم ٢/ ٣٢٦- ٣٢٧)

(٥) إحسان عباس. مقدمته لكتاب طوق الحمامة لابن حزم (رسائل ابن حزم الجزء الأول)

wadod.org

حماة ابن حزم بقرطبة:

احتفظ لنا ابن حزم بلائحة أسمائهم[١] كالتالي:

أ ـ القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن بشر: وكان قاضي الجماعة بقرطبة حتى عزله هشام المعتمد بالله بعد سعاية من بعض الخصوم، توفي رحمه الله سنة ٤٢٢هـ.

ب ـ محمد بن علي بن هشام بن عبد الرؤوف الأنصاري صاحب أحكام المظالم بقرطبة وكان واسع العلم حاذقاً بالفتوى، صليباً في الحكم شديداً على أهل الاستطالة، مؤيداً للحق، نزه النفس، طيب الطعمة، توفي في رمضان سنة ٤٢٤هـ[٢] ولعله ممن خلصوا ابن حزم من دسائس ابن أبي القراميد صاحب أحكام الشرطة المذكور سابقاً.

ج ـ أبو العاصي حكم بن سعيد الحائك وزير هشام بن محمد المُعتد بالله وقد ورد في ترجمة ابن أبي القراميد أن حكم بن سعيد امتحنه، فلعل ذلك كان انتقاماً لابن حزم. قُتِلَ هذا الوزير بقرطبة سنة ٤٢٢هـ وخُلِعَ على إثره هشام المعتد بالله[٣].

وقد وهم الأستاذ إحسان عباس في أمر حكم هذا، فظن أنه حكم بن منذر بن سعيد (ت٤٢٠هـ)[٤].

د ـ يونس بن عبد الله بن مغيث[٥] شيخ ابن حزم. ولعل هذا الشيخ استمر في الدفاع عن ابن حزم بقرطبة بعدما فجعه الموت بجميع من ذكرنا قبل، فابن مغيث آخر هؤلاء وفاة (سنة ٤٢٩هـ).

انتقال ابن حزم إلى المرية وصراعه مع فقهائها:

لا نعلم متى كان خروج ابن حزم من قرطبة، لكنني أرجح أنه كان حوالي ٤٢٦هـ سنة وفاة شيخه الفقيه الظاهري أبي الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت[٦]، لكننا على يقين أنه دخل المرية قبل سنة ٤٢٩هـ لأنه يقول في إحدى رسائله: «ولقد بلغ أبو جعفر أحمد بن عباس من ذلك (أي حماية ابن حزم) الغاية القصوى، واستنثار الأجر الجزيل والذكر الجميل»[٧].

---

(١) ابن حزم: «رسالة البيان عن حقيقة الإيمان»(ضمن رسائل ابن حزم الجزء الثالث ص١٨٩)

(٢) ابن بشكوال: الصلة ترجمة رقم ١١٢٦ (القسم ٢/٥١٦)، وترتيب المدارك لعياض ٨/ ١١ ـ ١٢.

(٣) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب الجزء ٣ صفحات ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٥٠.

(٤) راجع تقديم إحسان عباس لرسالة البيان عن حقيقة الإيمان وتعليقه على نصها (مرجع سابق) ص٣٤ـ ١٨٩.

(٥) قال ابن بشكوال في الصلة: «قلده المعتد بالله هشام بن محمد المرواني قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة والخطبة بأهلها في ذي الحجة سنة ٤١٩ وبقي قاضياً إلى أن مات رحمه الله (٤٢٩هـ) ترجمة ١٥١٢ (القسم ٢/ ٦٨٤ـ ٦٨٥).

(٦) المصدر نفسه ترجمة ١٣٥٢ (قسم ٢/ ٦١٧ ـ ٦١٨).

(٧) ابن حزم: رسالة البيان عن حقيقة الإيمان، صفحة ١٨٩.

wadod.org

وأحمد ابن عباس المذكور هنا كان وزيراً بالمرية لصاحبها زهير العامري، وقتله باديس بن حَبُّوس صاحب غرناطة بعدما أسره في المعركة التي دارت بينه وبين زهير العامري سنة ٤٢٩هـ[١].

فماذا جرى لابن حزم بالمرية مع فقهائها؟ يخبرنا القاضي عيسى بن سهل في مقدمة كتابه «التنبيه على شذوذ ابن حزم» أن ابن حزم كان: «(ينحرف) عن القبلة في صلاته إلى ناحية المشرق، قبلة اليهود والنصارى بالشام، فربما صلى أحياناً إلى جنب القاضي ابن سهر كذلك. فقلق شيوخ المرية وفقهائها من ذلك وقالوا للقاضي: إما أن يصلي إلى قبلتنا وإلا فاطرده عن نفسك، لئلا يحتج بك يوماً ما علينا، فأعلمه القاضي بذلك. وخرج (ابن حزم) عن المرية إلى دانية..».

هذه الواقعة يمكن تأريخها بدقة، لأننا نعلم من كتب التراجم الأندلسية أن أبا الحسن مختار بن عبد الرحمن بن مختار بن سهر الرعيني القرطبي استدعاه أهل ألمرية للقضاء بها فوليه سنة ٤٢٨هـ[٢] آخر دولة زهير العامري، وظل قاضياً بها إلى أن وافاه أجله بقرطبة (عندما زاراه) سنة ٤٣٥هـ.

ومن هذا علمنا يقيناً أن «تاريخ خلاف ابن حزم مع الفقهاء بشأن القبلة ومطالبتهم القاضي بتخيير ابن حزم بين الانقياد لهم أو الخروج عن بلدهم» كان فيما بين سنتي ٤٢٨ هو ٤٣٥هـ.

وفي النص دلالة واضحة على أن ابن سهر القرطبي قد ستر على ابن حزم على قدر طاقته، ولكنه رضخ أخيراً لإلحاح الفقهاء، ولم يستطع أن يمنعهم من إخراجه من المرية. فماذا كان من أمر ابن حزم بعد ذلك؟

ابن حزم في دانية وتعلقه بأبي العباس بن رشيق:

قال عيسى بن سهل في كتابه المذكور[٣]: «وخرج (أي ابن حزم) عن المرية إلى دانية وانتقل عن مذهب الشافعي، ورآه ضلالاً [كذا]، إلى مذهب أهل الزاهر ـ المبتدع بعد انقراض القرون الممدوحة ـ الذي مخترعه ومبتدعه داود بن علي الأصبهاني، المعروف بالقياسي، وانتحله ودان به ورأى أنه الحق الذي لا يجوز تعديه، ولا مراعاة مخالفيه، وأكثر فيه من

(١) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب الجزء ٣، صفحات ١٦٩ـ ١٧٠.

(٢) في تلك السنة توفي قاضي المرية الليث بن أحمد بن حريش العبدري المذكور سابقاً. وابن سهر جاء من قرطبة خلفاً له. راجع ترجمته وبعض أخباره في المصادر التالية: صاعد الأندلسي: (طبقات الأمم صفحة ٩٦) القاضي عياض (ترتيب المدارك الجزء ٨ ص ٨٩) ابن بشكوال (الصلة: ترجمة ١٣٧٤ قسم ٢/ ٦٢٤) ابن سعيد المغربي (المغرب في حلي المغرب الجزء ٢ صفحة ٢٠٧ـ ٢٠٨) المقري (نفح الطيب. الجزء ٣/ ٣٨١ رقم ١٦٦).

(٣) مخطوطة «التنبيه على شذوذ ابن حزم»نص المقدمة، شريط رقم ٥ بالخزانة العامة بالرباط.

wadod.org

التأليف والجمع والتصنيف. وتعلق بدانية بالكاتب أبي العباس بن رشيق ـ في أخريات أيام الموفق مجاهد العامري ـ».

هذا النص يدل على أن ابن حازم دخل دانية قبل سنة ٤٣٦هـ بسنوات. لأن أبا الجيش الموفق: مجاهد بن عبد الله العامري الذي كانت دانية تحت طاعته ومعها جزيرة ميورقة وجزيرتا منورقة ويابسة، توفي في تلك السنة[١].

وكان هذا الرجل من الكرماء على العلماء، ومن أعظم فضائله تقديمه للوزير الكاتب أبي العباس أحمد بن رشيق على جميع من في دولته، وبسطه يده في العدل وحسن السياسة وكانت بين الرجلين صداقة وصحبة في الصغر واتفاقٌ لكونهما جميعاً من أهل قرطبة.

وكان الكاتب أبو العباس المذكور صديقاً لابن حزم القرطبي لذلك آواه وحماه، فوجد الاستقرار بدانية، وبها نشط في تصنيف مؤلفاته في المذهب الظاهري كما شهد بذلك ابن سهل، بل زادنا معلومة تفيد بأن ابن حزم انتقل إلى القول بالظاهر علناً عندما صار إلى دانية في كنف ابن رشيق.

ولدي يقين بأن ابن حزم كانت له منازعات مع فقهاء دانية كذلك، لأنه ذكر بأن المالكية كتبوا الكتب السخيفة (في السعاية ضده) إلى ابن أبي ريال بدانية[٢].

ويذكر لنا ابن الأبار في التكملة أن «أحمد بن الحسن بن عثمان الغساني كان من أهل بجانة المرية وسكن دانية، وكان يعرف بابن أبي ريال، وأنه ولي قضاء دانية لمجاهد العامري وتوفي في حدود ٤٤٠»[٣].

بل إن في نشاط ابن حزم في التأليف لنصره المذهب الظاهري، دليلاً قوياً على وجود تلك المنازعات. والشاهد على ما ذهبت إليه موجود في كلام ابن حزم في رسالته في «الأخلاق والسير»[٤] حيث نقرأ: «لكل شيء فائدة، ولقد انتفعت بِمَحْكِ أهل الجهل منفعة عظيمة، وهي أنه توقد طبعي واحتدم خاطري وحمي فكري وتهيج نشاطي، فكان ذلك سبباً إلى تواليف لي عظيمة المنفعة، ولولا استثارتهم ساكني، واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف» أ.هـ

فكتابه «الأحكام لأصول الأحكام» قد شرع في تأليفه سنة ٤٣٠هـ. ففي بابه الثالث: يجادل الإمامية من الشيعة، فيذكر أن آخر إمام لهم قد خفي عنهم موضعه منذ مائة وسبعين عاماً[٥]. وفي كتابه «الفصل» أخبرنا بأن تاريخ هذا الاختفاء هو سنة

(١) جذوة المقتبس، جزء ١١/ ٥٦٤ ـ ٥٦٦. (انظر الخريطة المرفقة مع المقال).
(٢) رسائل ابن حزم الجزء ٣ صفحة ١١٦.
(٣) التكملة ١/ ٢٤ـ ٢٥.
(٤) (ضمن رسائل ابن حزم الجزء ١) صفحة ٣٦٨.
(٥) ابن حزم: الإحكام ١/ ١٧.

wadod.org

٢٦٠هـ[١]. وعلى ذلك يكون تاريخ تدوين ابن حزم لذلك الباب سنة ٤٣٠هـ.

دخول ابن حزم إلى جزيرة ميورقة:

هذه المرحلة التي سنتحدث عنها تعد حاسمة، لأن فيها سيتمكن ابن حزم من فرض نفسه بلا منازع في حلبة الجدل والمناظرة لمدة سنوات متصلة إلى حين قدوم أبي الوليد الباجي. ولأنه في هذه الجزيرة سيكتسب تلاميذ كان لهم دور بارز في حفظ تراثه الفكري، وعلى رأسهم الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي الميورقي. فمتى كان دخول ابن حزم لتلك الجزيرة؟ للجواب على هذا السؤال سنقدم عدة شهادات لعلماء أندلسيين كالتالي:

أ ـ شهادة عيسى ابن سهل:

قال ابن سهل في نفس الكتاب المذكور: «فنقله أبو العباس ـ معتنياً به ومرفعاً لحاله ـ إلى جزيرة ميورقة، وشرط عليه ألا يفتي أهلها إلا بمذهب مالك ـ رحمه الله ـ لا بما يعتقده وذلك في أول عشر الأربعين وأربع المائة..».

فقوله عشر الأربعين يرادفه «السنوات العشر المحصورة بين سنة ٤٣١ وسنة ٤٤٠هـ».

وعلى هذا فابن حزم دخل ميورقة بعد ٤٣١ بسنوات يسيرة، يؤكد ذلك ما سنذكره الآن.

ب ـ شهادة ابن الأبار في كتابه التكملة:

قال ابن الأبار[٢]: أبو عبد الله بن عوف من أهل ميورقة، كان فقيهاً على مذهب مالك، تدور عليه الفتيا، وبعده دخل أبو محمد بن حزم ميورقة، بسعي أبي العباس بن رشيق في ذلك، ففشا فيها مذهبه. وكان دخول ابن حزم ميورقة بعد الثلاثين وأربعمائة».

فابن حزم حسب هذه الشهادة، دخل ميورقة بعد ٤٣٠هـ (وهذا متفق مع ما ذكره ابن سهل) وقوله: «دخلها ابن حزم بعد أبي عبد الله بن عوف». يقصد ابن الأبار والله أعلم: «بعد وفاة ابن عوف أو اعتزاله التدريس».

فمتى توفي ابن عوف؟

يخبرنا عن ذلك أبو عبد الله الحميدي في «جذوة المقتبس» فيقول: «محمد بن عبد الرحمن بن عوف، أبو عبد الله: الفقيه. تفقه بقرطبة وسمع بها وبغيرها (من) جماعة (..) ودخل الجزائر (يقصد ميورقة). وقد قرأنا عليه، وكان في الفقه إماماً، وكُفَّ بصره فاشتغل بالفقه ورأس فيه (..) توفي أبو عبد الله بن عوف الفقيه في سنة ٤٣٤هـ[٣].

وقد ظن عبد المجيد التركي أن ابن عوف هذا كان ثاني مناظر مالكي ينهزم أمام ابن

---

(١) كتاب الفصل: الجزء ٤ صفحة ١٥٨.

(٢) التكملة: الجزء الثاني صفحة ٣٠١.

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس الجزء الأول صفحة ١١٦ ترجمة رقم ٩٧.

wadod.org

حزم بميورقة[١].

وهذا أمر لم يقدم عليه دليلاً تاريخياً حتى نقبله منه، وإلا فشهادة ابن الأبار صريحة في عدم اللقاء بين الرجلين. والأمر الأكثر احتمالاً هو أن «ابن رشيق انتهز فرصة وفاة أبي عبد الله ابن عوف كبير فقهاء ميورقة، فأشار على مجاهد العامري بإرسال ابن حزم إلى ميورقة ليفقه أهلها. واشترط ابن رشيق على ابن حزم أن لا يفتي هناك بغير مذهب مالك، كما قال ابن سهل. فهذا التوجيه تتآلف الروايات فيما بينها، ويكون ابن حزم قد دخل ميورقة حوالي ٤٣٤هـ. فماذا أحدث فيها؟

مناظرة ابن حزم لأبي الوليدابن البارية:

أخبار هذه المناظرة ذكرت في كتاب «فِرَقُ الفقهاء» للباجي، وعنه نقل القاضي عياض، كما صرح بذلك، ووردت كذلك بألفاظ متقاربة عند ابن الأبار لذلك سأجمع بين رواية عياض ورواية ابن الأبار في نسق، مع بيان نص عياض بين هلالين.

قال ابن الأبار: «أبو الوليد بن البارية: من فقهاء جزيرة ميورقة على مذهب مالك ـ من أحفظ قرنائه للمسائل وأفهمهم لها ـ ولما دخل أبو محمد ابن حزم جزيرة ميورقة، بعد ٤٣٠، ونشر فيها علمه، ودارت فيها بينه وبين أبي الوليد مناظرة (في اتباع مالك) زل فيها أبو الوليد وعظم ابن حزم عليه القول (حتى حمل الوالي على سجنه) وكان ذلك بمحضر أبي العباس ابن رشيق. فدعت الحال إلى أن سُجِنَ أبو الوليد، وعرضت عليه التوبة فأقام أياماً في السجن، وشهد عليه بالتوبة ثم سرح، فخرج من الجزيرة برسم الحج، فتوفي في وجهته تلك رحمه الله[٢]. ا.هـ

قال عياض في آخر روايته «..وقد ذكر خبره معه، القاضي أبو الوليد الباجي في كتاب فِرَق الفقهاء». وقد وجدت ابن حزم يذكر أن ابن البارية كان يشنع عليه وينقل الأكذوبات المفتراة إلى الفقهاء ليثيرهم ضده.

قال ابن حزم في رده على الهاتف من بُعد: «وقد استتبنا اللعين المريد المتوجه إليكم بهذه الأكذوبات المفتراة، والفضائح المفتعلة، وهو ابن البارية..[٣]» فلعل ابن البارية لم يغادر الأندلس برسم الحج كما قال ابن الأبار، بل سارع إلى الانتقام من خصمه، وذلك بالتشنيع عليه في البلاد وتأجيج نار الحقد عليه.

وقد اعتقد الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري أن أبا الوليد ابن البارية هو نفسه

(١) عبد المجيد التركي «مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين أبي الوليد الباجي وابن حزم»صفحة ٥٤.
(٢) ابن الأبار: التكملة الجزء الرابع صفحة ١٥٤، القاضي عياض: ترتيب المدارك ٨/ ١٥٨.
(٣) ابن حزم: رسالة الرد على الهاتف من بعد: صفحة ١٢٦.

wadod.org

مؤلف «رسالة الهاتف من بعد.[١]» وهذا قول لا حجة عليه، بل قول ابن حزم السابق يفنده، لأنه خاطب مؤلف تلك الرسالة قائلاً «وقد استتبنا (..) المتوجه إليكم بهذه الأكذوبات (..) وهو ابن البارية..» فابن حزم يصرح بأن ابن البارية هو الذي نقل إلى «الهاتف من بُعد» وأصحابه تلك الأكذوبات. ولو كان ابن البارية هو المؤلف لقال له: «ألم تتب بعد من نقلك الأكاذيب وافترائك علينا؟ يا ابن البارية». أما مؤلف تلك الرسالة فسنبينه في المكان المناسب من هذا المقال.

كيف انتشر مذهب ابن حزم بميورقة ـ حسب خصومه ـ:

لدينا بهذا الخصوص شهادة ذكرها عيسى بن سهل، وأظن أنه قد شنع فيها على ابن حزم وبالغ في ذلك. فيجب قراءتها بتحفظ شديد. قال في المقدمة: «فكان يُنتَقَد عليه (أي ابن حزم) الخطأ كثيراً، وبدا لمن فيها جهله به (أي بمذهب مالك). وهو مع ذلك لا يدع الحض على مذهبه والندب إلى طريقته، على ما سيأتي أبين إن شاء الله..».

يشير إلى ما سيذكره في طيات كتابه وهذا نص كلامه قال: «ومن استخفاف ابن حزم ومروقه وقلة دينه وفسوقه، ما كان أحدثه بميورقة ـ إذ كان استجلبه إليها وأدخله فيها الكاتب أبو العباس بن رشيق في عشر الثلاثين ـ أيام إقبال الدولة علي بن مجاهد، أنه كان إذا لقي بها شاباً استماله وأمر أصحابه بمخادعته حتى يدخل عليه، فإذا صار إليه، أكرمه وبسطه ورغبه في كونه في جملة أصحابه وقال له: أنت بحمد الله ذو فهم تنال به البغية دون دراسة ولا تعب وإنما يتعب هؤلاء الذين يدرسون درس الحمر، ويشقون شقاء الأبد ومع ذلك لا يفهمون. ومسألة تفهمها وتعرف أصلها قد (تغنيك عن مائة مسألة وتصل) إلى ما وصل إليه مالك وغيره (..) ثم يقول لأصحابه: هاتوا مسألة نجربه فيها.

فيذكرون مسألة و(يقولون له) ما حكمها عندك؟ فيخجل ذلك الشاب وينقطع عن الكلام، إذ لم يرها ولا تقدمت له مقدمة. فيقول له: ما عليك قل ما ظهر لك. ويلح عليه هو وأصحابه حتى يقول ذلك الشاب: يظهر إلي فيها كذا. فيقول: الله أكبر، صدقت فراستي فيك، أنت أفقه في هذه المسألة من مالك، لأنه: قال فيها كذا، وقلت أنت كذا، ثم يستشهد على صحة مقاله بحضرة أصحابه، ويعمر بقية مجلسه بالتعجب من نبل ذلك (الشاب) وتصحيح قوله، وتضعيف قول مالك، الذي نسبه هو إليه، ويندرج إلى الدعابة والمزاحة وحكايات لهو وبطالة، يوردها من كتاب ألفه في ذلك ترجمه بالمُرَطار ـ والنفوس مائلة إلى اللهو ـ فيخرج ذلك الشاب وقد فتن به ويصير إلى أبيه وأمه وأخوته فيقول لهم: أنا أعلم من مالك، وما قصة مالك؟ وهل هو إلا من البشر. ويحصل لابن حزم بهذا استئلاف الأغمار والجهال على مذهبه القبيح، وإلحاده الصريح، بمخالفة جميع السلف والاستخفاف بهم

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: كتاب «ابن حزم خلال ألف عام»١/ ١٥٨.

wadod.org

والتنقص لهم..[١]» ا.هـ وقد حكى الباجي مثل هذا الكلام[٢]. ولكن باختصار عما هنا. فلعلهما أخذا ذلك عن ابن البارية أو بعض المشنعين على ابن حزم، كابن سعيد الميورقي الذي راسل الباجي في شأن مناظرة ابن حزم بميورقة كما سنذكر الآن:

مناظرات ابن حزم والباجي بميورقة:

يخبر ابن الأبار في كتابه التكملة: أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن سعيد كان قد تصدر بميورقة لتدريس الفقه وأصوله، وأنه لما علم بمقدم أبي الوليد الباجي من رحلته المشرقية (حوالي ٤٣٩هـ) كتب إليه، فسار الباجي إلى ميورقة من بعض سواحل الأندلس فناظر ابن حزم، وتظافرا عليه (هو وابن سعيد) حتى أفحماه وأخرجاه عن ميورقة. فكان ابن سعيد سبب القطيعة بين الباجي وابن حزم[٣].

ويزيدنا القاضي عياض توضيحات أخرى فيقول: ووجد (الباجي) عند وروده بالأندلس لابن حزم الداودي صيتاً عالياً وظاهرات منكرة، وكان لكلامه طلاوة، وقد أخذت قلوب الناس، وله تصرف في فنون تقصر عنها ألسنة فقهاء الأندلس في ذلك الوقت، لقلة استعمالهم النظر، وعدم تحققهم به. فلم يكن يقوم منهم أحد بمناظرته، فعلا بذلك شأنه وسلموا الكلام له، على اعترافهم بتخليطه، فحادوا عن مكالمته، فلما ورد أبو الوليد الأندلس وعنده، من التحقيق والإتقان والمعرفة بطرق الجدل والمناظرة، ما حصله في رحلته، أَمَّهُ الناس لذلك، فجرت له معه مجالس، كانت سبب فضيحة ابن حزم وخروجه عن ميورقة. وقد كان رأس أهلها. ثم لم يزل أمره في سفال فيما بعد، وقد ذكر أبو الوليد في كتاب الفرق من تأليفه، في مجالسه تلك ما يكتفي به من يقف عليه[٤].

والسؤال الذي نحب البحث عن جوابه هو: ما هي المسائل التي دارت حولها تلك المناظرات؟

وهل حقاً انتصر الباجي على ابن حزم في جميع تلك المسائل؟ أم أنهما تكافأا، فبرز

---

(١) «التنبيه على شذوذ ابن حزم «لعيسى بن سهل، شريط رقم ٥، الخزانة العامة بالرباط.

(٢) نقله عنه البرزلي في نوازله، وعن البرزلي نقله محمد بن أحمد عليش في «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك»فقال: «قال الباجي (عن ابن حزم (..) فإذا سئل عن مسألة يقول لمن حضره أو السائل: ما قلت أنت فيها وما ظهر لك؟ ولا يزال يستميله حتى ينطق فيها بشيء من رأيه فيجود فعله ويستحسن رأيه ويقول: قولك فيها خير من قول مالك وغيره من العلماء «ويزين له ذلك ويشككه في نفسه حتى يصير يرى رأي نفسه ويتعاظم، ويقع في مالك وغيره من العلماء» ا.هـ الجزء الأول صفحة ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٣) ابن الأبار: التكملة ١/٣١٦. ونقلها عنه المراكشي في الذيل والتكملة ٦/٢١٦ والحكاية فيها اضطراب في الزمن فهي تجعل المناظرة بعد عودة محمد بن سعيد من الحج (أي بعد ٤٥٢هـ) والصواب أن ذلك كان قبل رحلته إلى الحج، أو أنه حج مرتين إحداهما قبل سنة ٤٣٩هـ.

(٤) ترتيب المدارك ٨/ ١٢٢.

wadod.org

كل واحد منهما في ناحية من نواحي الخلاف بينهما؟

للجواب عن الشق الأول من السؤال أقول:

لقد أشار ابن حزم في كتابه الفصل إلى جداله مع أبي الوليد الباجي كواحد من مُقَدَّمي الأشعرية بالأندلس، وذكره باسمه في ثلاثة مواضع من الكتاب المذكور، وأحياناً يقول: «وقد ناظرت على هذا بعض مقدميهم» دون أن يفصح عن اسم الباجي. قال ابن حزم قالت الكَرَّامية: إن الأنبياء يجوز منهم الكبائر والمعاصي كلها حاشا الكذب في البلاغ فقط فإنهم معصومون منه. وذكر لي «سليمان بن خلف الباجي» ـ وهو من رؤوس الأشعرية ـ أن منهم من يقول أيضاً: إن الكذب في البلاغ أيضاً جائز من الأنبياء والرسل عليهم السلام..[١].

فلعل ابن حزم قرر الباجي على هذه المسألة أثناء مناظرتهما. وقال ابن حزم أيضاً: ومن حماقات الأشعرية قولهم: إن للناس أحوالاً ومعاني لا معدومة ولا موجودة، ولا معلومة ولا مجهولة، ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة، ولا أزلية ولا محدثة، ولا حق ولا باطل، وهي علم العالم بأن له علماً، ووجود الواجد لوجوده كل ما يجد. هذا الذي سمعناه منهم نصاً ورأيناه في كتبهم (..) ولقد حاورني «سليمان بن خلف الباجي» كبيرهم، في هذه المسألة، في مجلس حافل. فقلت له: هذا كما تقول العامة عندنا «عنب لا من كرم ولا من دالية[٢]».

وقال ابن حزم معرضاً بالباجي «..وأنا سمعت بعض مقدميهم ينكر أن يكون في الذنوب صغائر، وناظرته بقول الله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر سيئاتكم﴾ [النساء: ٣١]، وقلت: بالضرورة يدري كل ذي فهم أنه لا كبائر إلا بالإضافة إلى ما هو أصغر منها، وهي السيئات المغفورة باجتناب الكبائر، بنص كلام الله تعالى، فقولك: هذا خلاف للقرآن مجرد. فخلط ولجأ إلى الحرد[٣].

وقال ابن حزم أيضاً «وقالوا كلهم[٤] (أي الأشعرية): من قال إن النار تحرق أو تلفح، وأن الأرض تهتز وتنبت شيئاً، أو أن الخمر تسكر، أو أن الخبز يشبع، أو أن الماء يروي (..) فقد ألحد وافترى (..).

قال أبو محمد: وهذا تكذيب منهم لله عزّ وجلّ إذ يقول: ﴿تلفح وجوههم النار﴾ [المؤمنون: ١٠٤] (..) وقوله تعالى: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ [الحج: ٥]، وقد صككت بهذا وجه بعض مقدميهم في المناظرة فدهش وبلد.

---

(١) كتاب الفصل ٥/ ٧٤.
(٢) المصدر نفسه: ٥/ ٧٧.
(٣) المصدر نفسه: ٥/ ٨٨ ـ ٨٩.
(٤) المصدر نفسه: ٥/ ٨٧ ـ ٨٨.

wadod.org

ومما يؤكد أن أغلب مناظرات الباجي وابن حزم دارت حول نظريات الأشاعرة: ما ذكره الفقيه الشافعي (الأشعري العقيدة) التاج السبكي صاحب طبقات الشافعية، حيث قال: . . وقد أفرط (ابن حزم) في كتابه هذا (يعني الفصل) في الغض من شيخ السنة أبي الحسن الأشعري (. .) وقد قام أبو الوليد الباجي وغيره على ابن حزم بهذا السبب وغيره وأخرج من بلده، وجرى له ما هو مشهور في الكتب، من غسل كتبه وغيره. .[١].

وجواباً على الشق الثاني من السؤال:

أسوق نصاً للباجي نفسه أورده الإمام البُرزُلي في نوازله، ونقله عنه الفقيه محمد بن أحمد عليش (ت١٢٩٩هـ) في كتابه المسمى بـ«فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك»[٢] وهذا نصه: وذكر الباجي أنه اجتمع مع ابن حزم بميورقة، وكانت بينهما مطالبات واحتجاجات آل أمرها ـ على ما قال ـ إلى إبطال مذهبه«ثم أورد البرزلي نص مناظرة جرت بين أخي الباجي وهو إبراهيم بن خلف الباجي وبين ابن حزم رجع إلى قول الباجي فقال: «قال الباجي: وبالجملة فإن الرجل ليس معه قوة علم ولا تضلع في الاحتجاج، ولكن إلمامه بالأمور الفارغة ومبتدأ الطلبة (. .) قد سلطت عليه في شيء كثير فخمل أمره، واستجهله أهل الفروع بالأندلس».

فالباجي يعترف ضمنياً أن هناك بعض المسائل التي تفوق عليه فيها ابن حزم، ولكنها قليلة ـ حسب روايته ـ ويخبرنا المقري في نفح الطيب أن ابن حزم أفحم الباجي في المحاورة التالية:

قال المقري: ولما ناظر ابن حزم قال له الباجي: أنا أعظم منك همة في طلب العلم، لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق.

فقال ابن حزم: هذا كلام عليك لا لك، لأنك طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة)[٣].

قال المقري: «فأفحمه» يعني أن ابن حزم أفحم الباجي في هذه النقطة.

بقي لنا أن نعين تاريخ وقوع تلك المناظرات، فحسب الشهادات السابقة، لابن الأبار وللقاضي عياض، جرت هذه المناظرات بعد قدوم الباجي من المشرق وذلك سنة ٤٣٩هـ، ثم وقفت في كتاب «الحلة السيراء» لابن الأبار على نص مهم بين فيه أن تلك المناظرات جرت في مجلس أبي العباس ابن رشيق بميورقة، وها هو نص كلامه: وهو (أي ابن رشيق) آوى

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٤٣.

(٢) في الجزء الأول منه، صفحة ١٠١ـ ١٠٣.

(٣) نفح الطيب ٢/ ٧٧.

wadod.org

الفقيه أبا محمد ابن حزم، حين نعي عليه بقرطبة وغيرها خلافه مذهب مالك، وبين يديه تناظر هو والقاضي أبو الوليد الباجي[١]..

فإذا علمنا أن ابن رشيق توفي بُعَيدَ ٤٤٠هـ عن سن عالية[٢] جزمنا بأن تلك المناظرات وقعت حوالي (٤٣٩-٤٤٠هـ)[٣].

خروج ابن حزم من ميورقة وذهابه إلى دانية ثم إلى المرية:

من الأمور الغريبة جداً أن القاضي عيسى بن سهل حينما ذكر ما أحدثه ابن حزم في ميورقة، وذكر خروجه منها، لم ينطق بكلمة واحدة عن مناظرات الباجي وابن حزم. وهذا الأمر جعلني أعتقد أن ابن سهل كانت له عداوة شخصية مع الباجي، بسبب رسالته المعروفة بعنوان «تحقيق المذهب في أن النبي قد كتب».

وسنذكر الآن رواية ابن سهل حول خروج ابن حزم من ميورقة.

قال ابن سهل في مقدمة «التنبيه على شذوذ ابن حزم»: «فغص أهلها (أي ميورقة) ذرعاً به، وبأن للمعتني به جهله وقبيح معتقده. فخرج عنها إلى دانية..».

وهذه المعلومة انفرد بها ابن سهل وهي ذات قيمة تاريخية كبرى، لأننا كنا نجهل تماماً المكان الذي قصده ابن حزم بعد خروجه من ميورقة. وأحب أن أنبه على أمر مهم ألا وهو أن الحميدي قد خرج مع شيخه من ميورقة وصاحبه أينما حل وارتحل، إلى أن هاجر إلى المشرق سنة ٤٤٨هـ. وهاهو في كتابه الجذوة يذكر أنه رأى الشاعر النحوي محمد بن خلصة الشَّذُويني بمدينة دانية بعد ٤٤٠هـ ولم يسمع منه شيئاً[٤]. ثم قال الحميدي في الجذوة أيضاً بأنه شاهد أحمد بن محمد بن بُرد (الأصغر) زائراً لابن حزم مرات عديدة بالمرية بعد سنة ٤٤٠هـ[٥]. وابن الأبار يقول بأن ابن برد هذا توفي بالمرية سنة ٤٤٥هـ[٦]. لذلك نقول: إن دخول ابن حزم للمرية كان بعد سنة ٤٤٠ بزمن (قضاه في دانية) وقبل سنة ٤٤٥هـ. بل أستطيع الجزم بأن ابن حزم دخل المرية قبيل سنة ٤٤٣هـ، لأنه ألف رسالة لصاحب المرية معن بن صُمَادح التجيبي[٧]، الذي حكم فيما بين ٤٣٣هـ و٤٤٣هـ (تاريخ وفاته).

---

(١) الحلة السيراء ٢/ ١٢٨.

(٢) جذوة المقتبس ١/ ١٩٥.

(٣) قال في الديباج المذهب: «وله معه مجالس كثيرة قيدت بأيدي الناس»صفحة ١٩٨ ترجمة أبي الوليد الباجي.

(٤) جذوة المقتبس ١/ ٩٧.

(٥) المصدر نفسه: ١/ ١٨٣ - ١٨٤ والحميدي «لقي محمد بن محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي بالمرية بعد ٤٤٠هـ: الصلة رقم ١١٨١.

(٦) التكملة ١/ ٣١٤.

(٧) إحسان عباس تقديمه للجزء الأول من رسائل ابن حزم صفحة ٨.

wadod.org

وبما أن ابن حزم قضى السنوات «٤٣٤هـ حتى ٤٤٠هـ» بميورقة، وكان قبل ذلك بسنوات مستقراً بدانية، فهو لا محالة قد ألف تلك الرسالة حوالي (٤٤١هـ ـ ٤٤٣هـ) بالمرية وأهداها لأميرها ابن صُمَادح.

وفي المرية ظهر لابن حزم عدو لدود اسمه: أبو عمر أحمد بن رشيق التغلبي[١] كبير الفقهاء المفتين بتلك المدينة، وقد غاظه وجود ابن حزم هناك، فبعث رسالة يصف فيها شناعة أقوال ابن حزم، إلى مفتي قرطبة أبي عبد الله محمد بن عَتَّاب[٢]. وعندما وصلت تلك الرسالة إلى ابن عتاب اتفق أن عيسى بن سهل كان حاضراً عنده.

وألف ابن سهل كتابه «التنبيه على شذوذ ابن حزم» ـ بعد أزيد من ثلاثين سنة على وصول تلك الرسالة ـ فذكر فيه خبرها فقال «.. وقد شاهدت عند شيخنا أبي عبد الله بن عتاب ـ رحمه الله ـ ورود كتاب فقيه المرية أبي عمر بن رشيق عليه، في أمر ابن حزم هذا، منذ أزيد من ثلاثين سنة، فحكى عنه أنه متى ذكر له ابن القاسم ـ رحمه الله ـ يقول: «عليه بنقل حطبه». وإذا ذكر له سحنون قال: «عليه بحرثه، وقال (أي ابن رشيق) عنه: يقول كذا وهو قول المعتزلة، وكذا وهو قول الجهمية. وذكر كثيراً من مما لا أقف عليه الآن.».

فمتى أرسلت هذه الرسالة إلى ابن عتاب؟

أولاً: يجب أن نعلم أن ابن سهل كانت له علاقة جيدة مع أبي عمر ابن رشيق هذا. كان ابن سهل يستفتيه في النوازل عندما كان (ابن سهل) مستقراً بمدينة بياسة (بالأندلس) قبل سنة ٤٤٤هـ[٣]. وفي هذه السنة سيذهب ابن سهل إلى قرطبة[٤] لملازمة شيخه أبي عبد الله ابن عتاب.

ثانياً: لقد توفي أبو عمر ابن رشيق بالمرية سنة ٤٤٦هـ وبذلك فرسالته تلك كتبت حوالي (٤٤٤ ـ ٤٤٦هـ) وبالتالي فابن حزم في ذلك التاريخ قد انتشرت أخباره في المرية، فأزعج ذلك ابن رشيق، فسولت له نفسه الاستنجاد بالفقيه القرطبي ابن عتاب. وهذه هي عادة فقهاء الأندلس مع ابن حزم، عندما عجزوا عن كسره بالحجة والبرهان لجأوا إلى السلطان والفقهاء والقضاة وألبوا عليه العامة.

دخول ابن حزم إلى إشبيلية ومنحته في أيام المعتضد بن عباد:

لقد لخص ابن حيان ما جرى لابن حزم فقال: «فتمالأوا (أي الفقهاء) على بغضه، وردوا قوله، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا

---

(١) له ترجمة في ترتيب المدارك ٨/ ١٥٤ـ ١٥٥ وفي الصلة ١/ ٥٣ ترجمة رقم ١١٤.

(٢) توفي بقرطبة سنة ٤٦٢هـ. ترتيب المدارك ٨/ ١٣١. الصلة ١١٩٤.

(٣) الإعلام بنوازل الأحكام لعيسى بن سهل: نشر جزء منه بمجلة هسبريس تامودا (بالرباط) المجلد ١٤ سنة ١٩٧٣م.

(٤) المصدر نفسه، صفحة ٧١.

wadod.org

عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه. فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به إلى منقطع أثره بتربة بلده، من بادية لبلة، وبها توفي - رحمه الله - سنة ٤٥٦. وهو في ذلك كله غير مرتدع ولا راجع إلى ما أرادوا به، يبث علمه في من ينتابه ببادية تلك، من عامة المقتبسين منه، من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم ويفقهم ويدارسهم، ولا يدع المثابرة على العلم (..) حتى كمل من مصنفاته في فنون العلم وقربعير، لم يعد أكثرها عتبة بابه لتزهيد الفقهاء طلاب العلم فيها، حتى أحرق بعضها بإشبيلية ومزقت علانية[١]». وبعد هذا بكلام ذكر ابن حيان أيضاً أبياتاً من الشعر قالها ابن حزم عندما أمر المعتضد ابن عباد بإحراق كتبه فقال: ومن شعره يصف ما أحرق له من كتبه ابن عباد قوله: [من الطويل]

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلّت ركائبي ... وينزل إن أنزلْ ويدفن في قبري
دعونـي من إحراق رقّ وكاغدٍ ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا في المكاتب بدأة ... فكم دون ما تبغون لله من ستر
كذاكَ النصارى يحرقون إذا علت ... أكفهم القرآن في مدن الثغر[٢]

وبالرجوع إلى كتاب «التنبيه على شذوذ ابن حزم» لعيسى بن سهل أمكن الإحاطة بتفاصيل أخرى أكثر دقة.

وهذا نص كلام ابن سهل: «فخرج عنها إلى دانية ثم إلى إشبيليا ثم إلى قريته بجهة لبلة. ومات بها سنة ٤٥٦، في أيام المعتضد - رحمه الله - وقد حجر عليه أن يفتي بين اثنين، بمذهب مالك أو غيره، ومنعه أن يجلس إليه أحد في علم، وتوعد من دخل إليه بالعقوبة والأدب، وعجل له الخزي في الأولى، لإزرائه بمن سلف من العلماء..[٣]».

إذا جمعنا بين نص كلام ابن حيان ونص كلام ابن سهل علمنا بأن الفقهاء هم من كان وراء محنة ابن حزم بإشبيلية: من طرده إلى قرية آبائه بلبلة وإحراق كتبه. فمن هم هؤلاء الفقهاء؟ بل من هو ذلك الهاتف من بُعد؟

نقرأ في رسالة الهاتف من بُعد تهديداً كتبه مؤلفها إلى ابن حزم وهذا نصه: «.. لئن لم تنته من رقدتك، وتستيقظ من غفلتك، وتبادر إلى التوبة من عظيم ما افتريت، فسيردّ فيك. وفيمن يقصدك ويترك فيك حق الله، من أجوبة أهل العلم في أقطار الأرض ما ستعلمه. وأرجو أن يريح الله منك العباد والبلاد دون ذلك، أو يصلحك إن كان قد سبق في علمه ذلك. ولتعلمن أيها

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: (القسم الأول - المجلد الأول - صفحة ١٦٨).
(٢) المصدر نفسه: صفحة ١٧١. والبيت الخامس زدته من سير أعلام النبلاء (الذهبي) ١٨/ ٢٠٥.
(٣) «التنبيه على شذوذ ابن حزم» نص المقدمة.

wadod.org

الإنسان، نبأه بعد حين»[١].

إن تهديد «الهاتف من بعد» قد صار حقيقة، شهد بوقوعها ابن سهل الذي ترحَّم على المعتضد ابن عباد بعد ذكر اسمه، وكأنه يشكره على انتقامه للفقهاء من ابن حزم. ولم يترحَّم ابن سهل على شيخه أبي عمر ابن عبد البر، لأنه كان صديقاً لابن حزم.

والأمر العجيب الذي اكتشفته بعد المقارنة بين أسلوب رسالة «الهاتف من بُعد» وأسلوب «التنبيه على شذوذ ابن حزم» أن عيسى بن سهل هو «الهاتف من بُعد» نفسه، وإليكم جدولاً يظهر التشابه الكبير بين أسلوب وحجج التأليفين المذكورين:

رسالة «الهاتف من بعد»:	كتاب «التنبيه على شذوذ ابن حزم»:
ـ وما أرى هذه الأمور إلا من تعويلك على كتب الأوائل والدهرية وأصحاب المنطق وكتاب أوقليدس والمجسطي وغيرهم من الملحدين، (ص١٢٢).	ـ أجاز لنفسه تقليد أرسطاطاليس وأفلاطون وبطليموس: عبدة الأفلاك أتباع إبليس». ـ وعدل إلى تقليد أصحاب الفترة الدهرية المعطلة في حدود المنطق وغيرها من زخارفهم.
ـ أما قلة دينك فلما أظهرته من الطعن على الصحابة وتخطئتك لهم وتسخيفك لآرائهم، (ص١٢٣).	ـ وزاد عليهم سب الأسلاف والأخلاف (...) وبَدَّع الصحابة.
ـ وأنت إنما نبغت في آخر الزمان (...) في وقت قلة العلم وكثرة الجهل، (ص١٢٣).	ـ حتى انتهى في آخر الزمن عند استيلاء الفتن إلى هذا المخذول المرذول.
ـ أما ضعف عقلك، فلما ظننته بنفسك (...) أنه قد صح لك ما لم يصح لصحابة نبيك صلى الله عليه وسلم، (ص١٢٣).	ـ إلى إن قال: إن له مزية على الصحابة توجب قوله لا أقوالهم (...) وإن عقلا لا يتوقى في كلامه مثل هذا، لفي غاية من الظلمة.

المؤلفات الأندلسية في الرد على ابن حزم خلال القرن الخامس الهجري:

لم يكن جميع الفقهاء الأندلس يسلكون مسلك التحريض والاحتماء بالسلاطين والقضاة، بل كان منهم من أداه اجتهاده إلى مخالفة ابن حزم، فسلك طريق أهل العلم في حسن المعارضة

(١) النص مستخرج من رسالة ابن حزم في الرد على الهاتف من بعد، صفحة ١٢٥ـ ١٢٦ (ضمن الجزء ٣ من رسائل ابن حزم).

wadod.org

والمخاطبة بالحجة، وكان منهم أيضاً الممسك الساكت عن التقحم في المعارضة[١].

ونرغب الآن في تقصي أخبار الردود على ابن حزم خلال القرن الخامس الهجري الذي عاش فيه ابن حزم. وقد وقفت في هذا الباب على أمر ستة مؤلفات في المباحث التالية:

١ ـ كتاب لعبد الله بن أحمد الجذامي البناهي:

من المعلوم أن ابن حزم كان مشاركاً في الأدب والشعر وكان له ذوق رفيع في نقد الشعر وشراح الدواوين، وقد انتقد أشياء على أبي القاسم بن الإفليلي شارح ديوان المتنبي. ولم يصل إلينا نقد أبي محمد بن حزم لكن قد علمنا خبره من ترجمة عبد الله بن أحمد بن الحسن الجذامي البناهي المذكور في كتاب الصلة لابن بشكوال وفي كتاب المرقبة العليا للبناهي المالقي.

قال عنه في الصلة «.. من أهل مالقة يكنى أبا محمد أخذ عن أبي القاسم بن الإفليلي كثيراً، وكان عالماً بالآداب واللغات والأشعار. وله رد على أبي محمد بن حزم فيما انتقده على ابن الإفليلي في شرحه لشعر المتنبي»[٢].

وقال صاحب المرقبة العليا عنه: «قدم للقضاء بالجزيرة الخضراء وما يرجع إليها (..) وذلك بإشارة شيخه [ومحمد بن الحسن بن يحيى بن الحسن الجذامي البناهي، تولى القضاء والوزارة بمالقة لبني حمود الأدارسة ثم لبلقين ووالده باديس الصنهاجيين، ثم توفي البناهي بقرطبة سنة ٤٦٣هـ[٣].

٢ ـ كتاب فِرَقُ الفقهاء لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي:

لقد شهد القاضي عياض بأن الباجي قد ذكر في كتابه فرق الفقهاء شيئاً من مجالس المناظرة بينه وبين ابن حزم. لكن هذا الكتاب لم يعثر عليه حتى الآن، ولكن منه نقول متفرقة في كتب التراجم، مثل ترتيب المدارك للقاضي عياض، وكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي، وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي[٤]، وكتاب روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام لابن الأزرق الغرناطي[٥]. وهذه النقول تفيدنا بأن كتاب الفرق للباجي عبارة عن كتاب في أخبار الفقهاء، ذكر فيه كثيراً من أخبار من لقيهم بالمشرق والأندلس، وما نقله كذلك عن شيوخه من أخبار المشاهير مثل خبر الباقلاني وأبي ذر الهروي وغيرهم. وقد نقل كذلك الإمام البُرزُلي في

---

(١) هذا ما شهد به ابن حزم نفسه في رده على الهاتف من بعد فقال: «العلماء ـ والله ـ قسمان لا ثالث لهما: إما عالم موافق «وإما عالم أداه اجتهاده إلى مخالفتي، فهو إما سالك طريق أهل العلم في حسن المعارضة والمخاطبة بالحجة (..) وإما ممسك ساكت لا كالطريق الذي سلكت من التقحم في الفتيا قبل أن تستفتى..» ١٢٦.

(٢) الصلة ١/ ٢٨٣، رقم ٦٢٢.

(٣) راجع تاريخ قضاة الأندلس ص٩٠ ـ ٩٤، والإحاطة لابن الخطيب ١/ ٤٣٣.

(٤) يشهد ابن فرحون في الديباج المذهب (بأن «ابن هلال قال «رأيته (أي كتاب الفرق للباجي) في الإسكندرية»صفحة ٢٠٠. (ترجمة الباجي).

(٥) ابن الأزرق الغرناطي: روضة الإعلام، الجزء الثاني، صفحات ٥٥٠ـ ٥٥٥. و٥٦٧ـ ٥٧٠.

wadod.org

نوازله طرفاً من أخبار تلك المناظرات كما ذكرت سابقاً وسأذكر الآن ما نقله عن الباجي الذي حكى نص مناظرة أخيه إبراهيم بن خلف الباجي مع ابن حزم.

مناظرة إبراهيم بن خلف الباجي لابن حزم:

قال البرزلي: وذكر (الباجي) أن أخاه إبراهيم بن خلف الباجي لقي ابن حزم يوماً فقال له (ابن حزم): ما قرأت على أخيك؟ فقال له: كثيراً أقرأ عليه. فقال: ألا أختصر لك العلم فيقرئك ما تنتفع به في الزمن القريب في سنة أو أقل؟

فقال له: لو صح هذا لفعل. فقال له: أو في شهر، فقال ذلك أشهى. فقال أو في جمعة أو دفعة. فقال: هذا أشهى إلي من كل شيء. فقال له: إذا وردت عليك مسألة فاعرضها على كتاب الله فإن وجدتها فيه وإلا فاعرضها على السنة، فإن وجدت تلك فيها وإلا فاعرضها على مسائل الإجماع، فإن وجدتها وإلا فالأصل الإباحة فافعلها. قلت له: ما أرشدتني إليه يفتقر إلى عمر طويل وعلم جليل، لأنه يفتقر لمعرفة الكتاب ومعرفة ناسخه ومنسوخه، ومؤوله وظاهره ومنصوصه ومطلقه، وعموماً إلى غير ذلك من أحكامه، ويفتقر أيضاً إلى حفظ الأحاديث ومعرفة صحيحها من سقيمها، ومسندها ومرسلها ومعضلها وتأويلها، وتاريخ المتقدم والمتأخر منها إلى غير ذلك، ويفتقر إلى معرفة مسائل الإجماع وتتبعها في جميع أقطار الإسلام، وقل من يحيط بهذا[١].

وكتاب فِرَق الفقهاء ألفه الباجي قبل سنة ٤٦٠هـ لأنه ذكر فيه مناقشة جرت له مع عمر بن الحسين الهوزني (ت٤٦٠هـ) بمرسية[٢].

٣ ـ الاعتراض على كتاب الفصل لأحد الأندلسيين:

لقد قام أحد المعاصرين لابن حزم بالاعتراض على كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد ابن حزم، فلما بلغ ذلك ابن حزم ألف كتاباً في «الرد على من اعترض على الفصل» وقد ذكر هذا الرد الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء[٣].

وبما أن الفصل قد تم في صورته شبه النهائية قبل سنة ٤٤٨هـ[٤] فإننا نعتقد أن الاعتراض عليه كان قريباً من هذا التاريخ.

٤ ـ كتاب «التنبيه على شذوذ ابن حزم» لعيسى بن سهل:

الإشارة إلى هذا الكتاب جاءت في برنامج أبي الحسن الإشبيلي الرعيني (ت٦٦٦هـ)،

---

(١) محمد بن أحمد عليش: «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام المالك»الجزء الأول صفحات ١٠٢ـ ١٠٣.

(٢) روضة الإعلام ٢/ ٥٦٧ـ ٥٧٠.

(٣) الجزء ١٨ صفحة ١٩٥.

(٤) «الفصل ذكره» الحميدي تلميذ ابن حزم ووصفه، مما يعني أنه رأى الكتاب عند شيخه قبل رحلته إلى المشرق سنة ٤٤٨هـ.

wadod.org

حين ذكره لمقابلة تمت بين أبي الحجاج الأعلم الشنتمري والإمام ابن حزم ملخصها: أن ابن حزم قد لقي الأعلم فقال له: يا أستاذ هل تجمع العرب «فاعلاً» على فُعلان؟ قال الأعلم: فقلت له نعم، وأخذت أشرح له بالأمثلة. فقال لي: فما يمنع أن يكون سُبحان جمع «سابح». قال الأعلم، فعجبت من جهله ا.هـ. روى الرعيني هذه الحكاية فقال «.. وقد ذكر عنه نحو هذا القاضي أبو الأصبغ ابن سهل في كتابه الذي سماه بالتنبيه على شذوذ ابن حزم[١]»

وقد نشرت مقالاً حول مخطوطة فريدة من هذا الكتاب، عُثِرَ عليها منذ أزيد من ثلاثين سنة بخزانة القرويين بفاس، ولا نعلم ما حل بها بعد ذلك، لكن والحمد لله، فقد حُفِظَ أثرها على شريط مصور بالخزانة العامة للمخطوطات بالرباط، وقد وقفت عليه وقدمت تعريفاً بمحتوياته وفوائده. وسأذكر الآن فقط أن المخطوطة قطعة ناقصة من الكتاب تتكون من ٢٦٩ صفحة أغلبها أتت عليها الأرضة. ومكتوبة بخط أندلسي عتيق يعود للقرن السادس أو السابع (تخميناً) وتشتمل الصفحة الكاملة على ١٩ سطراً في الغالب.

وأقدر أن الكتاب كان يتألف من أكثر من ٣٠٠ صفحة. وقد نقل عيسى بن سهل من بعض الكتب الأندلسية والمالكية المعدودة في المفقودات اليوم نذكر منها:

كتاب الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله. للقاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت٣٥٥هـ).

كتاب القواعد لابن حزم الظاهري.

كتاب الإعراب عن كشف الالتباس الواقع بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس. لابن حزم.

كتاب النكت الموجزة في نفي الأمور المحدثة لابن حزم.

كتاب الأمر بالاقتداء والنهي عن الشذوذ عن العلماء لابن أبي زيد القيرواني[٢].

رسالة أبي عمر أحمد بن رشيق إلى ابن عتاب في شأن ابن حزم.

أما كتاب التنبيه لعيسى بن سهل فقد بينت في مقالي المذكور أنه أُلِّفَ حوالي (٤٧٦-٤٨٠هـ) بمدينة طنجة.

وقد أطال عيسى بن سهل النفس في الرد على كتاب الإحكام لأصول الأحكام لابن حزم، لكنه رد كذلك على بعض المباحث في كتب ابن حزم الأخرى، مثل كتاب الفَصْلُ في المِلَلْ والنِّحَل[٣] وكتاب مراتب الإجماع، وكتاب التقريب لحد المنطق، ورسالة مراتب العلوم، ورسالة

(١) علي بن محمد بن علي الرعيني الإشبيلي: كتاب «الإيراد، لنبذة المستفاد من الرواية والإسناد، بلقاء حملة العلم في البلاد، على طريق الاقتصار والاقتصاد»(طبع بعنوان «برنامج شيوخ الرعيني»صفحة ٣٣- ٣٤).

(٢) ذكر ابن خير الإشبيلي هذا الكتاب في فهرسته ص٢١١ و٢١٣.

(٣) هكذا جاء ضبطه بالمخطوطة من كتاب التنبيه على شذوذ ابن حزم. [قلت: وكأن ابن حزم يقصد تأليف كتاب فيه: (القَوْلُ الفَصْلُ في مسألة «أي المِلل والنِحل على الحق وأيها على الباطل؟»). =

wadod.org

التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق المؤدية إليه. ومما اعترض به ابن سهل على ابن حزم في رسالته هذه أنه استنكر عليه قوله بتحريف كتب اليهود والنصارى المقدسة عندهم فقال: «..وسلك مثل هذه السبيل (..) فحاد عن الطريق وألحد في كلماته (...) وكان يكفيه أن يقول: إن الملل نسخها خاتم الرسل بما أوحي إليه من الكتاب المحكم، صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران: ٨٥]».

ولليهود والنصارى أن يقولوا لابن حزم: «نحن على ملل أتتنا بها أنبياؤنا المرسلون إلينا إن أنت أنكرت ذلك، كفرت ووجب قتلك في شرعك، لأنك تكذب بما أتى به نبيكم في قرآنكم: من أن الله أرسل إلينا الرسل وأنزل عليهم التوراة والإنجيل. وقد نقل ذلك إليكم من لا يجوز الغلط عليه ولا الريب في نقله، من كافة إلى كافة، وليس تحريف من حرف منّا، وشذوذ من شذّ عنّا بمبطل لشرعنا (كما لم) يبطل الخوارج وأهل البدع شريعتكم، ولا نقضوا بظهورهم وخلافهم ديانتكم. وهذا كسر صحيح سالم من كل شائبة، قاطع لبهتان ابن حزم.

قول ابن سهل في مسألة التحريف قريب جداً مما نجده عند بعض الأشاعرة، كالإمام فخر الدين الرازي المفسر. (ت٦٠٦هـ) ولعل رأي عيسى بن سهل كان متداولاً بصورة واسعة في الأندلس، لأن ابن حزم في كتابه الفصل عقد فصلاً (شغل ورقة ونصفاً) للرد على أصحاب هذا الرأي حيث قال: «..وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون بجهلهم القول بأن التوراة والإنجيل اللذين بأيدي اليهود والنصارى محرفان. وإنما حملهم عل هذا قلة اهتبالهم (أي اعتنائهم) بنصوص القرآن والسنن إلخ..»

وبعد ما حاجهم ابن حزم بالقرآن والحديث والعقل قال لهم: «.. فلابد لهؤلاء الجهال من تصديق ربهم جلّ وعز أن اليهود والنصارى بدلوا التوراة والإنجيل، وألا يرجعوا إلى الحمق، ويكذّبوا ربهم، جلّ وعز، ويصدّقوا اليهود والنصارى فيلحقوا بهم، ويكون السؤال عليهم كلهم حينئذٍ واحداً، فيما أوضحناه من تبديل الكتابين، وما أوردناه، مما فيهما من الكذب المشاهد عياناً (..) وقد اجتمعت المشاهدة والنص (..)[1]».

٥ ـ جزء في الرد على ابن حزم لأبي بكر ابن مفوز الشاطبي:

قال ابن الأبار في كتابه «معجم أصحاب أبي علي الصدفي[2]»:

«محمد بن حيدرة بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري، أبو بكر من أهل شاطبة وسكن قرطبة: أحد الحفاظ بل خاتمتهم بالأندلس، للحديث وعلله، المبرزين في صناعته: معرفة

= وقد جاءت نفس القراءة بالفتح لفاء «الفصل» في كتاب عقيل بن عطية الموسوم بكتاب «تحرير المقال في موازنة الأعمال» وسنذكره في ما بعد].

(١) الفصل ٣١٧ـ ٣١٩.

(٢) صفحة ٩٤ـ ٩٥ ترجمة رقم ٨١.

wadod.org

بمعانيه، وحفظاً لأسماء رجاله، مع الضبط والتحرز والإتقان، وحسن الخط والتحري في النقل، يجمع إلى ذلك التفنن في الآداب واللغة والعربية والشعر، وله رد على أبي محمد بن حزم قد قرأته على بعض شيوخنا (..) توفي بقرطبة سنة ٥٠٥هـ»، وقد ورد ذكر هذا الكتاب في سير أعلام النبلاء للذهبي[١]. وفي نفح الطيب للمقري، ولم يذكره ابن بشكوال في ترجمة أبي بكر ابن مفوز، وقد وقفت على بعض النقول من هذا الكتاب وهي:

النقل الأول: في كتاب «شرح الإمام بأحاديث الأحكام» للحافظ أبي الفتح محمد بن علي القشيري الشهير بابن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ) حيث ذكر قول ابن حزم في مسألة البائل في الماء الراكد ثم قال: «وممن شنع على ابن حزم في ذلك، الحافظ أبو بكر ابن مفوز فقال: - بعد حكاية كلامه - فانظر رحمك الله تعالى، ما جمع هذا القول من السخف، وحوى من الشناعة، ثم يزعم أنه الدين الذي شرعه الله، وبعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢]».

وقد اعتقد بعضهم[٣] ممن اطلع على هذا النص أن كتاب الرد على ابن حزم لابن مُفوِّز انتقاد للمسائل الفقهية الشاذة عند ابن حزم. وهذا قول غير صحيح بل إن الحافظ ابن مفوز انتقد أوهام ابن حزم في نقد الأسانيد والدليل على ذلك هو:

النقل الثاني: الذي وقفت عليه في كتاب الإصابة لابن حجر[٤]، وملخص ما جاء هناك أن ابن حزم قال في حق: جون ابن قتادة بن الأعور التميمي «وجون قد صحت صحبته» فتعقبه أبو بكر بن مفوز فقال «هذا خطاء، وجون رجل تابعي مجهول لا يعرف. ما روى عنه إلا الحسن..».

٦ - كتاب في الرد على ابن حزم لابن النغريلة اليهودي:

لقد كان لابن حزم مع علماء اليهود بالأندلس مناظرات كثيرة، كما يشهد هو بذلك في كتابه الفصل في الملل والنحل، فقد سمى لنا: إسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالي[٥]، وإسماعيل بن يونس الطبيب الأعور[٦] ويوسف ابن عبد الله قاضي اليهود بقرطبة[٧]، وكلهم ناظروه. قال ابن حيان القرطبي «..ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود - لعنهم

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٢١ وذكر في تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٢٥٥، أنه وقف على كتاب ابن مفوز في الرد على ابن حزم وهذا دليل على وصول الكتاب إلى المشرق، ووقف على هذا الكتاب أيضاً ابن عبد الهادي كما جاء في تعليق المحقق.

(٢) ابن دقيق العيد: شرح الإلمام ١/ ٤١٥.

(٣) هو الدكتور توفيق الغلبزوري في رسالته للدكتوراه «المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس»(تطوان ٢٠٠١) الجزء ٢ الصفحة ٦٩٢.

(٤) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة ١/ ٢٤٥.

(٥) الفصل ١/ ٢٤٧.

(٦) الفصل ٥/ ٢٥٣- ٢٥٤.

(٧) قال ابن حزم «..ولقد ناظرت بهذا كبيراً منهم وهو يوسف بن عبد الله قاضي يهود قرطبة..»مخطوطة =

wadod.org

الله ـ ومع غيرهم من أولي المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام»: مجالس محفوظة، وأخبار مكتوبة وله مصنفات في ذلك معروفة[١] وقد ذكر الحميدي أن لابن حزم كتاباً عنوانه «إظهار تبديل اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك، مما لا يحتمل التأويل:

فلا عجب إذاً أن يتصدى من اليهود من يرد على ابن حزم، الذي كان أكثر وأقوى أهل الأندلس حجة في جدالهم، فالرد عليه كاف لإسكات من دونه، لكن الفرصة الوحيدة التي أتيحت لهم اقتنصها يوسف بن إسماعيل ابن النغريلة وزير بني زيري الصنهاجيين حكام غرناطة وكان هذا اليهودي حسب ابن بسام «يزري على كل ذي دين، ولم يسلم من شره حتى بنو قومه الذين كانوا يتشاءمون باسمه، ويتظلمون من جور حكمه، ولما قلد أزمة الأعمال وخلي بينه وبين أثباج الأموال نأى بجانبه عن ذكر عواقبه، وألف كتاباً «في الرد على الفقيه أبي محمد بن حزم(..) وجاهر بالكلام في الطعن على ملة الإسلام»[٢]. ولابن حزم رسالة مشهورة في الرد على ابن النغريلة، وقد زعمت الباحثة سارة سترومسة (Stroumsa . Sarah) أن ابن حزم ادعى كذباً أن ابن النغريلة ألف كتاباً في تناقض القرآن. لكن زعمها هذا لم يحظ بتأييد إلا من طرف دافيد واسرشتاين (Wasserstein . David) [٣] ولبسط هذه القضية موضع آخر.

المؤلفات الأندلسية والمغربية في الرد على ابن حزم خلال القرن السادس الهجري:

٧ ـ كتاب الرد على ابن حزم لأبي بكر عبد الله بن طلحة اليابُري:

كان أبو بكر عبد الله بن طلحة من أهل يابُرة ونزل إشبيلية. روى عن أبي الوليد الباجي وعن جماعة بغرب الأندلس، وكان عارفاً بالنحو والأصول (الكلام) والفقه والتفسير والقيام عليه وكانت له حلقة للتفسير مدة بإشبيلية وغيرها، ورحل إلى المشرق، وألف كتاباً في شرح صدر رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وبين ما فيها من العقائد، وله مجموعات في الفقه والأصول، منها رد على ابن حزم، وكتاب سماه المدخل إلى كتاب آخر سماه سيف الإسلام على مذهب مالك

= الفصل المحفوظة بمكتبة فيانا، ورقة ١٠١ وجه (نقلاً عن: عبد الإله الجامعي «ابن حزم والجدل الإسلامي ـ المسيحي في تاريخ الإسلام «أطروحة دكتوراه من كلية تيلبورغ بهولندا سنة ٢٠٠١ (راجع صفحة ١٧٠ الملحق ١/١١). والأطروحة باللغة الفرنسية.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (قسم ١/ مجلد ١: صفحة ١٧٠).

(٢) المصدر نفسه، القسم الثاني المجلد الأول صفحة ٧٦٦.

(٣) مجلة القنطرة المجلد ١٤ الجزء الأول سنة ١٩٩٣ صفحة ١١٠ (مدريد). «وقد ردّت الأستاذة ماريا إيزابل فيثرو على سارة سترومسة في بحث مستقل عنوانه: (Ibn Hazm et le Zindique Juif) انظر لائحة المراجع الأجنبية، وانظر كذلك تقديم إحسان عباس لرسالة الرد على ابن النغريلة، لابن حزم. حيث بين أن المقصود في نص ابن بسام ليس (إسماعيل بن يوسف ابن النغريلة بل ولده يوسف بن إسماعيل) وقد تبنيْتُ رأي إحسان عباس وأصلحت على مقتضاه نص ابن بسام في الذخيرة.

wadod.org

الإمام. رحل إلى المهدية سنة ٥١٤هـ. ولصاحبها: علي بن تميم بن المعز الصنهاجي ألف الكتاب الأخير. ثم استوطن مصر وقتاً ورحل إلى مكة وبها توفي سنة ٥١٨هـ[١].

وكتابه في الرد على ابن حزم ذكره صاحب أزهار الرياض في أخبار عياض[٢] كما أشاد بهذا الكتاب، ونقل منه أبو جعفر اللبلي في فهرسته، ومنه علمت أن اليابري. على ـ عادة المتعصبين من الأشاعرة قد انتقد ابن حزم بسبب جداله في الفصل مع الأشاعرة ـ.

قال اللبلي «.. كان ابن حزم كثيراً ما يتقول على الأشعرية وعلى غيرهم (..) لقصور معرفته لعلومهم، وكونه غير بصير بشيء من كلامهم، لأنه إنما قرأ كتبهم وحده، على ما ذكره الإمام أبو محمد عبد الله بن طلحة في كتابه[٣]».

كتابان في الرد على ابن حزم للقاضي أبي بكر ابن العربي:

بعد رجوع ابن العربي إلى الأندلس من رحلته المشرقية وجد مذهب ابن حزم قد طبق الآفاق، وكثر أتباعه فكانت له معهم مناظرات حادة، وقد بدت عداوته الشديدة لابن حزم في كتابه العواصم الذي حط فيه على ابن حزم والظاهرية، ولم يتكلم في شيخ أبيه بالقسط، مما جعل الإمام الذهبي ينقم عليه مثل هذا الفعل[٤].

٨ ـ كتاب النواهي والدواهي:

ألفه أبو بكر ابن العربي رداً على جزء لابن حزم عنوانه «نكث الإسلام» ومن الطريف أنه سيأتي حفيد لابن حزم وسينتصر لجده من ابن العربي. واسمه أبو عمر أحمد بن محمد بن حزم «ألف كتاباً وسماه بالزوابع والدوامغ». تابع فيه القاضي أبا بكر ابن العربي على فصول كتابه المسمى بالدواهي والنواهي في الرد على أبي محمد بن حزم، وحاذاه فيه كلاماً بكلام وحديثاً بحديث، وفقهاً بفقه، ونظماً بنظم، ونثراً بنثر، وإقذاعاً بإقذاع[٥].

٩ ـ كتاب الغرة:

ألفه للرد على كتاب «الدرة فيما يلزم الإنسان اعتقاده» لابن حزم[٦].

١٠ ـ فتوى أبي الوليد ابن رشد (ت٥٢٠هـ) في تجريح شهادة منكر القياس:

لقد سأل أحدهم، من حضرة المرية عن شاهد، مشهود له بالخير لكنه ظاهري، هل

---

(١) راجع ترجمته في المصادر التالية: ابن الأبار: التكملة ٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١. محمد بن علي الداودي: طبقات المفسرين الجزء ١/ ٢٣٢ رقم ٢٢٣. السيوطي: بغية الوعاة (٢/ ٤٦). محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية: صفحة ١٣٠ رقم ٣٧٩. المقري: نفح الطيب ٢/ ٦٤٨ (وهو ينقل حرفياً ما عند ابن الأبار في التكملة).

(٢) الجزء الثالث صفحة ٧٧.

(٣) أبو جعفر اللبلي: (فهرسته) صفحة ٨٣.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء الجزء ١٨/ ١٨٨ـ ١٩٠.

(٥) ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة السفر الأول، القسم الأول صفحة ٤٠٧.

(٦) الذهبي (المصدر نفسه).

wadod.org

ذلك جرحة في شهادته أم لا؟ فأجاب أبو الوليد ابن رشد بأن إنكار القياس في أحكام الدين عند العلماء بدعة، وذلك جرحة فيما اعتقده. ثم راح يحتج للقياس وشرعيته بالحجج المعروفة عند القائلين به (والتي سبق أن جادلهم ابن حزم فيها جدالاً قوياً) ثم قال: وأما إنكار بعض وجوه القياس لا يكون جرحة إن كان من العلماء الراسخين في العلم، الذين كملت لهم آلات الاجتهاد، فكان فرضه ما أداه إليه اجتهاده. وأما إن كان لا يلحق بهذه الدرجة، وكان فرضه التقليد، فترك ما عليه الجمهور، ومال إلى الشذوذ بغير علم، إلا اتباع هواه غير المستحسن، فما هدي لرشده.. إلخ[١]. (بتصرف)

١١ ـ كتاب في الرد على منكر القياس ألفه الحسن بن علي المسيلي (ت. حوالي ٥٨٠هـ):

قال أبو العباس الغبريني في كتابه عنوان الدراية: الإمام أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي، جمع بين العلم والعمل والورع. له المصنفات الحسنة (..) وله (كتاب): «النبراس في الرد على منكر القياس» وهو كتاب مليح، على ما أخبرت عنه، ولم أره وأنا شديد الحرص عليه، ولقد أخبرني بعض الطلبة المتمسكين بالظاهر ـ وهو من أنبلهم ـ أنه رأى هذا الكتاب، وأنه ما رأى في الكتب الموضوعة في هذا الشأن مثله، فأنشدته:

[من الكامل]

ومليحة شهدت لها أعداؤها ... والحسن ما شهدت له الأعداء

فأعجبه ذلك (..) ولي المسيلي قضاء بجاية. وكان له رحمه الله وللفقيه أبي محمد عبد الحق الإشبيلي، وللفقيه العالم أبي عبد الله بن عمر القرشي مجلس أظنه يجلسون فيه للحديث، وكثيراً ما كانوا يجلسون بالحانوت الذي سمي بعدهم «مدينة العلم» لاجتماع هؤلاء الثلاثة فيه[٢]. بتصرف.

١٢ ـ كتاب في المسائل المنتقدة على ابن حزم جمعه أبو بكر بن خلف الأنصاري المواق:

قال الإمام البرزلي في نوازله، «جاءت أيام الأمير يعقوب [المنصور الموحدي (ت٥٩٥هـ)]»فأراد حمل الناس على كتب ابن حزم، فعارضه فقهاء وقته، وفيهم أبو يحيى (أبو بكر بن خلف الأنصاري القرطبي) ابن المواق، وكان أعلمهم بالحديث والمسائل. فلما سمع ذلك لزم داره، وعارض وأكبّ على جمع المسائل المنتقدة على ابن حزم حتى أتمها ـ وكان لا يغيب عنه (أي يعقوب المنصور) ـ فلما أتمها جاء إليه، فسأله عن حاله وغيبته ـ وكان ذا جلالة عنده ومبراً له ـ فقال له: يا سيدنا قد كنت في خدمتكم لما سمعتكم تذكرون حمل الناس على كتب ابن حزم، وفيها أشياء أعيذكم بالله من حمل الناس عليها، وأخرجت له دفتراً. فلما أخذه

(١) مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد) المجلد الثاني صفحات: ١٢٧٣ـ ١٢٧٩).

(٢) أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية صفحة ٣٣ـ ٣٦ ترجمة رقم ٢.

wadod.org

الأمير جعل يقرؤه ويقول: أعوذ بالله أن أحمل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على هذا. وأثنى على ابن المواق. ودخل منزله»[١]. و«ابن المواق من أهل قرطبة وسكن مدينة فاس، وكان حافظاً حافلاً في علم الفقه والخلاف فيه. ملازماً للتدريس، تام النظر لا يدانيه أحد في ذلك (..) وعني بالحديث على جهة التفقه والتعليل والبحث عن الأسانيد والرجال والزيادات، وما يعارض وما يعاضد، ولم يعن بالرواية، وهو من شيوخ أبي الحسن ابن القطان، وحظي بخدمة السلطان بمراكش فنال دنيا عريضة (..) وولي قضاء فاس وبها توفي وهو يتولاه في آخر شوال سنة ٥٩٩هـ».

هكذا ذكره ابن الأبار في كتابه التكملة[٢] وعنه نقل ابن القاضي في جذوة الاقتباس[٣] ومحمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس[٤].

١٣ ـ كتاب تحرير المقال في موازنة الأعمال للقاضي عقيل بن عطية القضاعي (ت٦٠٨هـ):

قال ابن الأبار: «عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعي: يكنى أبا طالب وأبا المجد، ولد بمراكش وأصل سلفه من طرطوشة (بالأندلس). روى بالأندلس وغيرها عن ابن بشكوال وابن خير وغيرهم، وولي قضاء غرناطة، وكان من أهل الحفظ والإتقان والضبط، يبصر الحديث ويتقدم في صناعته، مع حسن الخط والمشاركة في الأدب، وله رد على أبي عمر بن عبد البر في بعض تواليفه وتنبيه على أغلاطه.. وولي قضاء سجلماسة بأخرة من عمره، وتوفي بها في صفر سنة ٦٠٨هـ ومولده سنة ٥٤٩هـ[٥]». بتصرف.

ولم يذكر له ابن الأبار كتابه في الرد على الحميدي وشيخه ابن حزم. وفي كتاب أعلام مالقة لابن عسكر وابن خميس جاء في ترجمته ما نصه: «عقيل بن عطية المالقي يكنى أبا طالب. ليس من مالقة، لكنه أقام بها واستوطن، وكان يكتب المناكح على القاضي ابن يربوع. ثم إنه ولي قضاء غرناطة مدة، ثم انتقل عنها وولي قضاء سجلماسة.. وله كتاب سماه: تجريد (كذا) المقال في موازنة الأفعال يرد فيه على الحميدي..[٦]» وذكره أبو جعفر ابن الزبير في كتابه «صلة

---

(١) محمد عليش «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك» ١/١٠٣. انظر مجلة دعوة الحق (المغرب) عدد ٢٤٩ (١٩٨٥م) ص٢٦ ـ ٣٠، مقال للأستاذ سعيد أعراب: «موقف الموحدين من كتب الفروع وحمل الناس على المذهب الحزمي». وقد سبقه إلى هذا الموضوع الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري في كتابه: «ابن حزم خلال ألف عام»، ومع ذلك لم يشر إليه الأستاذ أعراب.

(٢) الجزء ١/ ١٨٠ـ ١٨١.

(٣) القسم الأول / ١٠٦ رقم ٢٧.

(٤) الجزء الأول / ٢٢٤.

(٥) كتاب التكملة ٤/ ٣٣ـ ٣٤.

(٦) أعلام مالقة: صفحة ٣٢٩ رقم ١٤٨.

wadod.org

الصلة»[١] فقال: وقفت له على تأليف سماه: فصل المقال في الموازنة بين الأعمال «تكلم فيه مع أبي عبد الله الحميدي، وشيخه أبي محمد بن حزم، فأجاد فيه وأحسن، وأتى بكل بديع وأتقن..» وقد نقل هذا الكلام عن ابن الزبير كل من ابن الخطيب في كتابه الإحاطة[٢]، وابن فرحون في كتابه الديباج[٣]. والحق أن العنوان المذكور أعلاه قد تحور عن أصله وما وجدته مكتوباً في مخطوطة الكتاب المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط هو التالي، قال المؤلف في مقدمته: .. وسميناه كتاب «تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل..».

سبب تأليف هذا الكتاب ومضمونه:

قال المؤلف: «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى أما بعد: فإن أحد الطلبة رعاهم الله عرض علي كتاباً صنعه أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ـ رحمه الله ـ في الموازنة يوم القيامة، وتقسيم أهلها وترتيب الجزاء. من الثواب والعقاب، عليها.

وكان هذا الطالب المشار إليه معجباً بذلك الكتاب، ومستحسناً لأغراضه، ومولعاً بتقسيمه، وزاده كلفاً به، كون أبي محمد علي بن أحمد بن حزم ـ رحمه الله ـ قد رواه عن مؤلفه».

ثم مهد عقيل بن عطية لسبب رده على كتاب الحميدي بذكره لترجمة أبان فيها عن منزلة الحميدي العلمية ثم قال: «لكن ليس ذلك بمانع أن يرد عليه بعض قوله (..) ونحن لما نظرنا الكتاب المبدأ بذكره، وتأملنا غرض مؤلفه فيه وجدناه غير مخلص للقسمة والأقسام التي عمد فيها إلى تنظيم بعضها ببعض وتضمحل عند التحصيل، فتحققنا أن الحميدي أصابته غفلة فيه، وكذلك أصابت الغفلة أبا محمد بن حزم استحسانه له وتصويبه لتقاسيمه، وما ذلك منه إلا لأن كثيراً من مضمنه هو مذهبه، فغاب عنه ما وراء ذلك، مما لو أمعن النظر فيه. لم يخف عليه، وقد قال الحميدي في أول كتابه هذا: إن الأصل ما سمعه من أبي محمد المذكور مشافهة.. وهكذا وجدناه في كتاب الفصل من تأليف أبي محمد، أشياء موافقة لما ذكره الحميدي في هذا الكتاب، مما نرى أن الحق في خلافه. فكان هذا كله داعية لنا إلى تتبع ما في كتاب الحميدي

---

(١) في القسم الرابع / ١٧٠ـ ١٧١ رقم ٣٤٠.

(٢) المجلد ٤/ ٢٣٠ـ ٢٣١.

(٣) الديباج المذهب، صفحة ٣١٣ رقم ٤١٨ قلت: والكتاب وصل إلى المشرق يقيناً، لأن الإمام بدر الدين الزركشي نقل عنه في كتابه «البحر المحيط في أصول الفقه» ٤/ ٢٧٧. وسماه «تحرير المقال في موازنة الأعمال» والزركشي توفي سنة ٧٩٤هـ.

وقد ترجم الذهبي لعقيل بن عطية في وفيات سنة ٦٠٨ من كتابه «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» صفحة ٢٩٩ـ ٣٠٠ رقم ٤٠٢ ولم يذكر له تحرير المقال، لأنه اعتمد على ابن الأبار كمصدر وحيد.

wadod.org

وانتقاده وإبرازه ما يصح من أمر الموازنة في الآخرة، وتقسيم أهلها بحسب مفهوم الشريعة، وضع ذلك كله في هذا الكتاب الذي تحرينا الحق، جهدنا في مضمنه، ونقحنا الكلام المودع فيه، هذا مع أنه قد تضمن أشياء زائدة على ذكر الموازنة (..) وقد رأينا أن نفصل بين كلامنا وكلامه، بحيث يمتاز أحدهما من الآخر، وذلك بأن ننقل كلامه بلفظه، فإذا كمل أردفنا عليه فصلاً أو فصولاً متتابعة من كلامنا لتحسين ما قاله أو لانتقاده وتبيين وهمه، أو لتتميم معناه، إن أخلّ به، أو لتقسيم حاصر لما يقصد به، أو لا يراد ما يليق بذلك الموضع مما لم يلم هو به، أو ألمّ به على وجه آخر. فإذا كمل ذلك رجعنا إلى نقل لفظه أيضاً، ثم عدنا إلى تلك الفصول كذلك، حتى يفرغ مقصودنا بحول الله في هذا الكتاب. ولم نترك من كلام الحميدي في كتابه المذكور شيئاً بل سقناه على ما هو عليه، بحيث لو شاء ناقل أن ينقل كتابه، أمكنه ذلك (..) ويأتي في الكتاب بحول الله تبيين ما عسى أن يرد عليه أو على أبي محمد بن حزم، إذا دعت إلى ذلك داعية. فإن كلامنا في هذا الكتاب إنما هو مع هذين الرجلين. أحدهما بالاختراع والتأليف، والثاني بالاستحسان والتصويب، فعلى الحقيقة إذا رددنا على الحميدي في شيء ما، تطرق ذلك إلى الرد على أبي محمد ابن حزم. هذا إذا لم يوجد لأبي محمد فيه كلام، وأما ما نصّ عليه فسيكون الرد على الحميدي فيه بحكم التبع، لأن ابن حزم من أهل النظر - في الجملة - وأما الحميدي فإنما هو من أصحاب الحديث، وإن كان من أهل التحذّق فيهم. ثم إنا لما فرغنا من التكلم مع الحميدي فيما تضمنه كتابه، أردفنا عليه قسمين لم يلم بذكرهما ويجب التنبيه عليهما والكلام فيهما.

القسم الأول: حكم المجانين وأهل الفترة ومن لم تبلغه الدعوة (..)

القسم الثاني: حكم الجن في القيامة، إذ هم أمة يلزمهم التكليف، وإذا لزمهم التكليف ترتب عليه الجزاء (..)

ونحن بحول الله نورد من الكلام على هذين القسمين ما يتمم المقصود ويكمل المطلوب، مما حررنا القول فيه وتحرينا الصواب فيما يحويه على النحو الذي سلكناه في جملة الكتاب، وسميناه كتاب تحرير المقال (إلخ..) لتكون هذه الترجمة تحتوي على مقصود الكتاب في الجملة، إذ لا يخرج عنها إلا ما يندرج في تضاعيف الكلام، مما يستدعيه القول ويوجبه النظر.

والحقيقة أن الكتاب رائع يدل على تبحر صاحبه في علوم الكتاب والسنّة، وعلى إنصاف ودقة نظر قل وجودهما. وللكتاب، حسب علمي، نسختان خطيتان كلتاهما بالخزانة العامة بالرباط.

النسخة الأولى: وتحمل رقم (ق١٠٩) تتألف من ٣١١ صفحة مكتوبة بخط أندلسي، وجاء بآخرها: «بلغت المقابلة بأصل مؤلفه فصح، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد رسوله الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً. وكان الفراغ منها في الحادي عشر من

wadod.org

جمادى الآخرة عام ثلاث وستمائة».

وفي الورقة الأولى ما يفيد أن هذه النسخة سمعت ثلاث مرات على المؤلف في سنة ٦٠٣هـ وحضر ذلك السماع جماعة من الطلبة (كان ذلك بسجلماسة كما سيظهر في النسخة الثانية) والناسخ هو محمد بن عبد الرحمن بن يحيى تلميذ المؤلف.

النسخة الثانية: وتحمل رقم (كاف، ٦٥٢) وهي نسخة مغربية منقولة عن نسخة بخط علي بن قاسم بن علي بن قاسم بن علي بن محمد بن أحمد البياضي الأنصاري[١] نسخها عام ٨٩١هـ وذلك بمدينة بلش (بالأندلس).

وتتألف من ٢٥٣ صفحة وتنقصها الورقة الأولى.

١٤ ـ رد على ابن حزم، لابن خروف الحضرمي الأندلسي (ت٦٠٩هـ):

قال ابن عبد الملك المراكشي في كتابه «الذيل والتكملة»: علي بن محمد بن علي بن محمد بن خروف الحضرمي إشبيلي (..) روى الحديث عن ابن خير وابن زرقون.. وابن بشكوال، وأخذ علم الكلام وأصول الفقه عن العارف أبي عبد الله الرعيني ركن الدين، وأبي الوليد ابن رشد الأصغر، والعربية والآداب عن أبي إسحاق بن ملكون، وأبي بكر بن طاهر. ولزمه وعليه أتقن «الكتاب» (لسيبويه) وعنه لقن أغراضه (..) وكان مقرئاً مجوداً حافظاً للقراءات، ونحوياً ماهراً، عددياً فرضياً عارفاً بالكلام وأصول الفقه، وقد صنف في كل ما ينتحله من العلوم مصنفات مفيدة شرقت وغربت (..) وكان كثير العناية بالرد على الناس، فرد على الجويني في كتابيه «الإرشاد» و«البرهان» وعلى ابن الطراوة في مقدماته على أبواب الكتاب، وعلى الأعلم في رسالته الرشيدية وغيرها، وعلى أبي محمد بن حزم في بعض مقالاته (..) توفي بإشبيلية في العشر الوسط من جمادى الآخرة، وقال ابن الأبار: توفي في صفر سنة تسع وستمائة، ابن ثمانين سنة أو نحوها[٢].

١٥ ـ رد على ابن حزم للفقيه أبي زكرياء يحيى بن علي الزَّوَاوِي (ت٦١١هـ):

قال محمد بن محمد مخلوف في شجرة النور الزكية، «أبو زكرياء يحيى بن علي المعروف بالزواوي الشيخ الفقيه الصالح الورع.. أخذ عن أعلام ورحل للمشرق، وأخذ عن أبي الطاهر إسماعيل بن مكي، والقاضي أبي سعيد مخلوف بن جاره.. وأبي طاهر السفلي وأبي القاسم بن فيره الشاطبي وغيرهم، وعنه أخذ أعلام توفي سنة[٣] ٦١١هـ» وذكره هنا في علماء فاس. وقال أبو العباس الغبريني: «ولما كان من أمر الفقيه أبي زكرياء الزواوي في شأن ابن حزم ما قد اشتهر، وتعصب له ناس ورفعوا القضية للخليفة بمراكش، اقتضى نظر الفقيه أي زكرياء أن يتوجه

---

(١) أندلسي من سكان حصن بلش الكائن شرقي مالقة، ثم هاجر إلى المغرب فاستوطن مكناسة الزيتون، وتوفي بها سنة ٩١٢هـ.

(٢) الذيل والتكملة السفر الخامس، القسم الأول صفحات: ٣١٩ـ ٣٢٣. رقم ٦٣٥.

(٣) شجرة النور الزكية. ص ١٨٤ـ ١٨٥ رقم ٦٠٩.

wadod.org

عنه الفقيه أبو محمد عبد الكريم (بن عبد الواحد الحسني) لمراكش، فتوجه وحمل تأليف الفقيه ورده على ابن حزم - المسمى حجة الأيام وقدوة الأنام - ولما وصل حضرة مراكش استحضره أمير المؤمنين بين يديه، بمحضر الفقهاء، وعرض تأليف الفقيه عليهم، وكان الفقيه أبو محمد عبد الكريم هو النائب في الحديث، فأحسن وأجاد، وأطلع أمير المؤمنين ومن حضر من الفقهاء على كلام الفقيه - رضي الله عنه - ما دله على فضله ودينه وعلمه، فكان من قول الخليفة: يترك هذا الرجل على اختياره، فإن شاء لعن وإن شاء سكت، وانقلب أبو محمد عبد الكريم وهو المبرور، وسعيه المشكور[١]».

والأمير المذكور في الحكاية هو يعقوب المنصور الموحدي (ت٥٩٥هـ).

١٦ - كتاب «المعلى في الرد على المحلى والمجلى لابن حزم» تأليف ابن زرقون الأنصاري (ت٦٢١هـ):

قال ابن فرحون «محمد بن أبي عبد الله بن محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن زرقون الأنصاري الإشبيلي، يكنى: أبا الحسن، شيخ المالكية، وكان من كبار المتعصبين للمذهب، فأوذي من جهة بني عبد المؤمن (الموحدين). ولما أبطلوا القياس وألزموا الناس بالأثر والظاهر، صنف كتاب المعلى في الرد على المحلى لابن حزم. توفي في شوال سنة ٦٢١هـ وله يومئذٍ ٨٠ سنة[٢]».

وعنوان الكتاب كاملاً كما ذكره تلميذا ابن زرقون: أبو الحسن الرعيني[٣] وابن الأبار[٤] هو: «كتاب المعلى في الرد على المحلى والمجلى» قال ابن الأبار «امتحنه السلطان من أجله، واعتقل مدة بسبتة».

وقد ولد ابن زرقون سنة ٥٣٩هـ وعاصر حكم أربع خلفاء من الموحدين وهم عبد المومن بن علي وابنه يوسف ثم يعقوب بن يوسف ثم الناصر ولد يعقوب.

كتب الردود على ابن حزم خلال القرن السابع الهجري:

وقد أحصيت خلال ذلك القرن ظهور أربعة من العلماء الأندلسيين ممن تصدوا للرد على ابن حزم، وسأذكرهم مرتبين حسب وفياتهم:

١٧ - كتاب «الرد على المحلى» للحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن القطان (ت٦٢٨هـ):

---

(١) عنوان الدراية صفحات ٢٤٧- ٢٤٨.

(٢) الديباج المذهب: صفحة ٣٨٠ رقم ٥١٣.

(٣) برنامج شيوخ الرعيني: صفحة ٣٢.

(٤) التكملة ٢/ ١٢٣ - ١٢٤. وامتحان السلطان لابن زرقون كان من أجل تعصبه الشديد لمذهب مالك رحمه الله. وهذا كان دأب أبيه من قبله، إذ دافع عن كتاب المدونة بمحضر من الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي، انظر: مجلة دعوة الحق، العدد ٢٤٩ ص٢٦ - ٢٨.

wadod.org

قال صاحب شجرة النور الزكية: «أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك المكناسي[١] يعرف بابن القطان، العالم الفقيه الراوية العارف بصناعة الحديث وأسماء رجاله، سمع أبا عبد الله بن الفخار وأبا عبد الله ابن البقال (. .) وممن كتب إليه ولقيه أبو جعفر ابن مضاء. . وأبو عبد الله بن زرقون. . توفي سنة ٦٢٨»[٢].

وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي في ترجمته لابن القطان أنه «ألف كتاباً في الرد على المحلى مما يتعلق بعلم الحديث. ولم يتم[٣]» وهذا دليل كاف في أن ابن القطان ليس ظاهرياً بل كان من أهل الحديث فقط ولم يتقيد بمذهب.

١٨ ـ كتاب في الرد على ابن حزم لعبد الحق بن عبد الله الأنصاري (ت٦٣١هـ):

قال ابن الأبار: «عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق أبو محمد الأنصاري قاضي الجماعة بإشبيلية ومراكش، أصله من المهدية (تونس) وولي أولاً قضاء غرناطة ثم إشبيلية، ثم ولي سنة ٦١٩هـ قضاء مراكش وقتاً وامتحن فيه بالفتنة المتفاقمة حينئذٍ، وكان أحد العلماء المتفننين في وقته، فقيهاً مالكياً حافظاً نظاراً بصيراً بالأحكام، جزلاً صلباً في الحق، مهيباً، معظماً. وله كتاب في الرد على ابن حزم دل على حفظه وعلمه وأفاد بوضعه. . توفي سنة ٦٣١هـ بمراكش، ولقيته بإشبيلية سنة ٦١٨هـ[٤]» بتصرف.

قلت: وفي سنة ٦٠٥هـ تمّ تأخير أبي عبد الله الباجي عن قضاء إشبيلية، وتولاه أبو محمد عبد الحق بن عبد الله الأنصاري[٥]. أما الفتنة المذكورة فالمقصود بها المقاتلة بين يحيى بن الناصر والمأمون بمقربة من مراكش في يوم السبت ٢٥ ربيع الأول سنة ٦٢٧هـ فانهزم يحيى وفرّ إلى الجبل، وقبض المأمون على القاضي أبي محمد ابن عبد الحق، فحبس حتى افتدى منه بخمسة آلاف دينار أو نحوها[٦]. لكن القاضي على العموم كان معظماً عند بني عبد المؤمن إلى أن توفي رحمه الله، كما سجل ذلك ابن عذاري المراكشي في تاريخه[٧].

١٩ ـ الرد على نفاة القياس لعبد المجيد بن أبي البركات الطرابلسي (ت٦٨٤هـ):

قال في شجرة النور الزكية: «القاضي أبو محمد عبد المجيد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي الإمام الفقيه العمدة الأصولي. تفقه ببلده بابن الصابوني، ورحل للمشرق مرتين، الأولى سنة ٦٢٤هـ. والثانية سنة ٦٣٣هـ فأخذ بالإسكندرية عن جماعة، ثم قدم

---

(١) هذا خطأ إنما هو «الكتامي الفاسي» كما جاء في الذيل والتكملة للمراكشي.
(٢) محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية صفحة ١٧٩ رقم ٥٨١.
(٣) الذيل والتكملة: السفر الثامن القسم الأول: صفحة ١٦٧.
(٤) التكملة ٣/ ١٢٥ ـ ١٢٦.
(٥) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب (قسم الموحدين) صفحة ٢٥٤.
(٦) المصدر نفسه صفحة ١٨٤.
(٧) المصدر نفسه صفحة ٢٦٩.

wadod.org

نسخة فريدة مخطوطة بالخزانة الصبيحية بمدينة سلا[١]. وعدد أوراقها سبعة، وخطها مغربي مبسوط، نسخت عام ١٠٥٤هـ والناسخ غير مذكور، وجاء اسم المؤلف كاملاً في المقدمة هكذا: «وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه، الراجي منه عفوه ورضاه، أحمد بن الحسن الورياجلي المعروف بالصغير».

ومن هذا الرد يمكن استخراج بعض مذهب هذه الفرقة فمما جاء فيها:

فصل في الرد عليهم في: عدم اقتدائهم بمالك، لقولهم: إن غالب أقواله ظنية وذلك مما يؤدي بنا إلى المهالك[٢].

فصل في الرد عليهم في طعنهم على العلماء من أجل اختلافهم وقولهم: «لو كان مالك وأصحابه على الحق ما اختلفوا في مسألة»[٣].

فصل في قولهم: «القرآن عربي مبين وأنهم لا يحتاجون إلى ما نقل في (تفسيره عن العلماء) الراسخين»[٤].

فصل في إنكارهم الدعاء والابتهال إلى الله دبر الصلوات[٥]. وقد ظهر من هذا الرد أن مؤلفه فقيه نبيه مطلع، ومن مصادر كتابه:

كتاب نظم الدر المبدد في شرح رسالة أبي محمد، وشرح أصول السبكي للعراقي، نوازل ابن رشد (وهي المطبوعة تحت عنوان مسائل أبي الوليد ابن رشد[٦]) والهدي النبوي لابن القيم، وتفسير القرآن للماوردي، وفتح الباري لابن حجر، وينقل كذلك عن أبي بكر بن العربي وأحمد بن أبي زيد المعروف بابن حلُولُ القيرواني، وأحمد الونشريسي صاحب المعيار، والأبي شارح مسلم، والعالم الزاهد علي بن محمد بن فرحون القرطبي، والإمام ابن عرفة، ويحيى بن معاذ الرازي، وعبد الله بن سعيد بن أبي جمرة في كتابه على البخاري. وللمزيد من المعلومات حول الطائفة الأندلسية الضالة يراجع كتاب محمد حجي المسمى «الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين» حيث ذكر مصادر أخرى مخطوطة ذكرت تلك الطائفة[٧]..

---

(١) راجع: محمد حجي: «فهرس الخزانة الصبيحية بسلا»منشورات معهد المخطوطات العربية، صفحة ٥٩٨ رقم ترتيبي ١٢٩١، ورقمها في الخزانة ٣/٣٣٣ في مجموع. وقد أدرجنا صورة من صفحاتها في آخر هذا المقال.

(٢) مخطوطة سلا: ورقة (٢ ظهر).

(٣) المصدر نفسه: ورقة (٣ وجه).

(٤) المصدر نفسه: ورقة (٤ وجه).

(٥) المصدر نفسه: ورقة (٥ وجه).

(٦) ينقل عن الفتوى التي ذكرناها سابقاً حجج ابن رشد في إثبات الرأي والقياس، إلخ..

(٧) محمد حجي، الحركة الفكرية ١/٢٣٩ ـ ٢٤٥

wadod.org

ثم ذكر اللبلي أحاديث اعتمدها ابن حزم في إبطال القول بالقياس وناقشه فيها. ولعل كتاب اللبلي في الرد على ابن حزم لم يظهر للوجود لأنه مات قبل تأليفه ولعله ضاع.

الرد على ابن حزم خلال القرن الثامن:

لم أقف في هذا الصدد إلا على خبر تأليف واحد، وهذا لا يعني أنه لم تظهر مؤلفات أخرى ولكن حسب ما وقع تحت يدي من المصادر لم أجد أكثر من ذلك التأليف وسأذكره الآن:

٢١ ـ الرد على ابن حزم لإبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي (ت٧٣٤هـ):

قال ابن فرحون: إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي: قاضي القضاة بتونس: يكنى أبا إسحاق، كان علامة وقته، ونادرة زمانه، ألف كتاب «معين الحكام» في مجلدين (..) نحا فيه إلى اختصار المتيطية: وله «الرد على ابن حزم في اعتراضه على مالك ـ رحمه الله ـ في أحاديث خرجها في الموطأ ولم يقل بها. وله اختصار أجوبة القاضي أبي الوليد ابن رشد.. روى عن جماعة الأندلس القادمين على مدينة تونس. توفي سنة ٧٣٤هـ عن ٩٧ سنة وأشهر ـ رحمه الله تعالى ـ[١] قال محمد مخلوف: مولده سنة ٦٣٧هـ وتوفي في رمضان سنة ٧٣٣ ودفن بتربته المعروفة بتونس»[٢].

الطائفة الأندلسية أو المحمدية ورد الفقهاء عليها (القرن ١٠هـ):

في القرن العاشر الهجري ظهر بالمغرب شيخ يقال له أبو عبد الله محمد الأندلسي، جمع إلى تأثره بالمذهب الظاهري أموراً أخرى، ووقع خلاف بينه وبين فقهاء مراكش وبينه وبين الفقراء (الصوفية) وجرت له أمور شرحها معاصره محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، وكذلك خصمه ابن القاضي المكناسي. قال ابن عسكر: «محمد الأندلسي نزيل مراكش: كان هذا الرجل يتبع طريق الجادة في المعاملات، وكان مولعاً بعلم الاقتباس وسر الحرف وعلم الكيمياء والرياضة والطب وعلم الهيئة والطبيعة. أخذ عن أشياخ جمة، ولكنه كان كثير الوقوع في الأئمة، فنحا منحى ابن حزم الظاهري وشاع ذلك عن أصحابه، فأفتى فقهاء مراكش بتضليله وأنهوا ذلك إلى السلطان فأمر بحبسه وبقي مدة ثم فرج عنه. ثم شنعوا عليه أيضاً أنه يقول «الاشتغال بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فتور عن الذكر» وأشياء مستغربة، فسجن أيضاً ثم خلي سبيله، فانتشر صيته وبعد ذكره وكثر أتباعه، ووقع بينهم وبين الفقراء خطب عظيم، وانتشر بسبب ذلك شغب في العامة، وكثر التعصب، ووقعت المجاهرة بالقتال وسفك الدماء. وتلقبت شيعته بالمحمدية، ويسمون من خالفهم المالكية نسبة إلى الإمام مالك، لقيته مراراً وتكلمت معه، فكان يتنصل من أكثر ما نسب إليه، ويظهر التمسك بالسنة والإضراب عن القول بالرأي والقياس، ويعيب طريقة الفقهاء. وبقي في نفوس العامة منه شيء، إلى أن دخل السلطان أبو عبد

(١) الديباج المذهب: صفحة ١٤٥ رقم ١٥٦.
(٢) شجرة النور الزكية صفحة ٢٠٧ رقم ٧١٩.

wadod.org

الله محمد ابن الغالب عبد الله بن محمد الشيخ (السعدي) مدينة مراكش، عند خروج السلطان عبد الملك عنها بالحركة إلى الجبل في ذي الحجة من سنة ٨٤ (وتسعمائة). فوجه القائد التركي محمد بن كرمان ليأتيه (بالأندلس)، فثار به أصحاب الشيخ الأندلسي فقتلوه. فأمر السلطان بإحضار الأندلسي والبحث عنه حيث كان، فأخرج من دار الشيخ أبي الحسن بن أبي القاسم، فثار به العامة وصلبوه في التاريخ المذكور[١]».

وقال ابن القاضي في درة الحجال: «محمد الأندلسي: رئيس الطائفة الأندلسية، ومخترع البدعة العظيمة المضرة بالسنة السمحة الحنفية فأهلكه الله وأتباعه، وأخلى منهم الأرض. توفي قتيلاً سنة ٩٨٥ في ذي الحجة منها. قتله السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف الحسني المخلوع. فاز رحمه الله بقتله إياه، لكن قتله ليس هو على بدعته، وإنما قتله لكونه رئيس الأندلس الذين غرروه، وكان ذلك سبب خلعه، وكان أمر الله قدراً مقدوراً (..) وزيد هذه الطائفة اليوم بالمغرب على من كان به من اليوسفية والعكازية، فليحذروه المسلم، ولا يغتر بخزعبلاتهم، وما أحدثوه في الدين، أخلى الله منهم الأرض. وهذه البدعة التي دعا إليها هذا المطرود من باب فضل الله إلى غضبه، وتمسك بها أصحابه من بعده كعبد الخالق الوامغاري، المتشرف وليس بشريف، إذ أصله صنهاجي، وكإبراهيم الراشدي، وكإبراهيم رفيق، ومن تبعهم، . .قال بمثلها بعض الأندلسيين قبله (يقصد ابن حزم)، بل حذا حذوه في أقواله كلها وأفعاله، وشنع عليهم ابن العربي في العارضة (عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي)».

ومن أراد الوقوف على شناعاتهم جملة وتفصيلاً، وما قيل في هذه الطائفة الملعونة فليطالع:

تأليف الفقيه الخطيب أبي القاسم بن سلطان القسنطيني نزيل تطوان، فقد أبدع فيهم، وزيف أقوالهم، وبين فسادها، وهو في نحو مجلدين. وصنف أيضاً في الرد عليهم وريقات: أبو العباس أحمد الصغير أحد تلامذة المنجور. وكان يؤذيهم كثيراً، فغضبوا لذلك وعظم الأمر لديهم، فقتلوه - رحمة الله عليه - وأخزى طائفتهم[٢].

قلت أما رد ابن سلطان[٣] فلا نعلم لوجوده خبراً، وأما رد أحمد الصغير فقد حفظت منه

---

(١) محمد بن عسكر الشفشاوني: «دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر»صفحة ١٠٩ ترجمة ١٠٦ وعنه ينقل الناصري في تاريخه «الاستقصا»٥/ ٥٠. وأخطأ الناصري فجعل الأمر بقتل الأندلسي هو الغالب بالله، كما جعل ذلك القتل سنة ٩٨٠هـ وهو خطأ.

(٢) كتاب «درة الحجال في أسماء الرجال»الجزء الثاني ص٣٥- ٣٧ ترجمة رقم ٤٨٠- أما عبد الخالق الوامغاري المذكور في النص فقد كان أحد رؤساء الطائفة الأندلسية في عصر ابن القاضي بمدينة مكناس وقد ترجم له في درة الحجال ٣/ ١٦٧- ١٦٨.

(٣) وأما ابن سلطان صاحب الرد على الطائفة الأندلسية فهو «الفقيه المعقولي الخطيب بقصبة تطوان كان صديقاً لابن القاضي، وقد أطلعه على رده ذلك سنة ٩٩٥هـ فقال عنه بأنه أجاد فيه كل الإجادة، راجع درة الحجال ٣/ ٢٨٨.

wadod.org

نسخة فريدة مخطوطة بالخزانة الصبيحية بمدينة سلا[١]. وعدد أوراقها سبعة، وخطها مغربي مبسوط، نسخت عام ١٠٥٤هـ والناسخ غير مذكور، وجاء اسم المؤلف كاملاً في المقدمة هكذا: «وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه، الراجي منه عفوه ورضاه، أحمد بن الحسن الورياجلي المعروف بالصغير».

ومن هذا الرد يمكن استخراج بعض مذهب هذه الفرقة فمما جاء فيها:

فصل في الرد عليهم في: عدم اقتدائهم بمالك، لقولهم: إن غالب أقواله ظنية وذلك مما يؤدي بنا إلى المهالك[٢].

فصل في الرد عليهم في طعنهم على العلماء من أجل اختلافهم وقولهم: «لو كان مالك وأصحابه على الحق ما اختلفوا في مسألة»[٣].

فصل في قولهم: «القرآن عربي مبين وأنهم لا يحتاجون إلى ما نقل في (تفسيره عن العلماء) الراسخين»[٤].

فصل في إنكارهم الدعاء والابتهال إلى الله دبر الصلوات[٥]. وقد ظهر من هذا الرد أن مؤلفه فقيه نبيه مطلع، ومن مصادر كتابه:

كتاب نظم الدر المبدد في شرح رسالة أبي محمد، وشرح أصول السبكي للعراقي، نوازل ابن رشد (وهي المطبوعة تحت عنوان مسائل أبي الوليد ابن رشد[٦]) والهدي النبوي لابن القيم، وتفسير القرآن للماوردي، وفتح الباري لابن حجر، وينقل كذلك عن أبي بكر بن العربي وأحمد بن أبي زيد المعروف بابن حلُولُ القيرواني، وأحمد الونشريسي صاحب المعيار، والأبي شارح مسلم، والعالم الزاهد علي بن محمد بن فرحون القرطبي، والإمام ابن عرفة، ويحيى بن معاذ الرازي، وعبد الله بن سعيد بن أبي جمرة في كتابه على البخاري. وللمزيد من المعلومات حول الطائفة الأندلسية الضالة يراجع كتاب محمد حجي المسمى «الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين» حيث ذكر مصادر أخرى مخطوطة ذكرت تلك الطائفة[٧]..

---

(١) راجع: محمد حجي: «فهرس الخزانة الصبيحية بسلا»منشورات معهد المخطوطات العربية، صفحة ٥٩٨ رقم ترتيبي ١٢٩١، ورقمها في الخزانة ٣/٣٣٣ في مجموع. وقد أدرجنا صورة من صفحاتها في آخر هذا المقال.

(٢) مخطوطة سلا: ورقة (٢ ظهر).

(٣) المصدر نفسه: ورقة (٣ وجه).

(٤) المصدر نفسه: ورقة (٤ وجه).

(٥) المصدر نفسه: ورقة (٥ وجه).

(٦) ينقل عن الفتوى التي ذكرناها سابقاً حجج ابن رشد في إثبات الرأي والقياس، إلخ..

(٧) محمد حجي، الحركة الفكرية ١/٢٣٩ ـ ٢٤٥

wadod.org

الصفحة الأولى من مخطوطة «الرد على الطائفة الأندلسية الضالة»
تأليف أحمد بن الحسن الورياجلي المعروف بالصغير
(مخطوط خزانة الصبيعية سلا)

wadod.org

خاتمة:

لعل هذا البحث قد أعطى صورة جلية عن الجدل الدائر منذ عصر ابن حزم وحتى عصر السعديين حول مؤلفاته وآرائه. وقد أحصينا ٢٣ تأليفاً في هذا الشأن، وقفنا على خبرها في كتب مختلفة، وجمعنا شتاتها تيسيراً على الراغبين في معرفتها، ولعلها تكون عوناً للمعتنين بالتراث الحزمي، فتمكنهم من التعرف على بعض الكتب المخطوطة المبتورة أو المجهولة المؤلف.

والحق أن الإمام ابن حزم يستحق مزيداً من الدراسة، نظراً لما تمتع به من كثرة التأليف واتساع الدائرة في العلم، وقوة العارضة، ودقة الملاحظة. وسنسير على هذه الخطة فيما سننشره إن شاء الله عن هذا العلاّمة الأندلسي. وبالله التوفيق.

المصادر والمراجع

- **أزهار الرياض في أخبار عياض**، لأبي العباس المقري، الرباط ١٩٨٥.
- **أعلام مالقة**: لابن عسكر وابن خميس، تحقيق عبد الله الترغي المرابط، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١٧هـ.
- **الصلة، لأبي القاسم ابن بشكوال**، نشر: الدار المصرية للتأليف ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.
- **ابن حزم خلال ألف عام**، تأليف أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. (٤ أجزاء)
- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، لابن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- **الإحكام في أصول الأحكام**، لابن حزم الظاهري، طبع دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **الإصابة في معرفة الصحابة**، لابن حجر العسقلاني.
- **الإيراد لنبذة المستفاد من الرواية والإسناد**. لعلي بن محمد الرعيني الإشبيلي، تحقيق إبراهيم شبوح، دمشق ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.
- **البحر المحيط في أصول الفقه**، لبدر الدين الزركشي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت. ١٤١٤هـ.
- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، لابن عذاري المراكشي، الجزء الثالث، تحقيق إ.ليفي بروفنسال. دار الثقافة بيروت. (بدون تاريخ)
- **التكملة لكتاب الصلة**، لأبي عبد الله ابن الأبار القضاعي البلنسي، تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، بيروت (٤ أجزاء)
- **الحلة السيراء**، تأليف ابن الأبار البلنسي، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف.القاهرة.
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، لابن بسام الشنتريني، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، لمحمد بن عبد الملك المراكشي، تحقيق محمد بن شريفة وإحسان عباس.. (السفر الأول والخامس والثامن).
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لابن حزم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥هـ.

wadod.org

● المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، للبناهي المالقي، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت (بدون تاريخ).

● المعجب في تلخيص أخبار المغرب. لعبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء/ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

● المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي، تأليف ابن الأبار البلنسي، نشرة فرانشيسكو كوديرا (إسبانيا)

● بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

● تذكرة الحفّاظ: للإمام محمد بن عثمان الذهبي، (طبعة دار الفكر، د.ت).

● ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، تحقيق سعيد أعراب (الجزء الثامن، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

● جذوة الإقتباس، لابن القاضي المكناسي (أحمد بن محمد).

● جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لمحمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت ـ القاهرة ١٤٠٣/ ١٩٨٤.

● درة الحجال في أسماء الرجال، لأحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

● دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. تأليف محمد بن عسكر الشفشاوني الحسني، تحقيق محمد حجي الرباط، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

● رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، نشرة المؤسسة للدراسات والنشر، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. (٤ أجزاء).

● روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، لمحمد بن علي بن الأزرق الحميري الغرناطي (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩١م). تحقيق سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا ١٤٢٠هـ.

● سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، طبعة حجرية بـ(فاس).

● سير أعلام النبلاء، لمحمد بن عثمان الذهبي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥م. تحقيق شعيب الأرنؤوط+ محمد نعيم العرقسوسي.

● شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، طبع دار الفكر، بيروت، (بدون تاريخ).

● شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، لابن دقيق العيد. الرياض ١٤٢١هـ.

● طبقات الأمم، لصاعد الأندلسي، طبع محمود علي صبيح، مصر (بدون تاريخ).

● طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن السبكي، طبع دار المعرفة، بيروت (٧ أجزاء) (بدون تاريخ).

● طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداودي. تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٤م.

● عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تأليف أبي العباس الغبريني: أحمد بن أحمد بن عبد الله. تحقيق عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

● فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، لمحمد بن أحمد عليش طبع دار الفكر، القاهرة. (جزآن).

● فهرس المخطوطات العربية بالخزانة الصبيحية بسلا. محمد حجي، منشورات معهد المخطوطات العربية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

● فهرست اللبلي (أبو جعفر بن يوسف اللبلي ت٦٩١هـ) تحقيق ياسين يوسف عياش وعواد عبد ربه أبو

wadod.org

زينة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

● **فهرسة** ابن خير الإشبيلي، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

● **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، نشأتها، أعلامها، وأثرها**: للدكتور توفيق الغلبزوري، أطروحة دكتوراه قدمت بكلية أصول الدين بتطوان ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م.

● **مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد)**، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، منشورات دار الآفاق الجديدة (المغرب) ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

● **معجم الأدباء**، لياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٣م.

● **مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين ابن حزم وأبي الوليد الباجي**. تأليف عبد المجيد التركي، ترجمة عبد الصبور شاهين، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

● **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، لأبي العباس المقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

● **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**. تأليف أحمد التائب الأنصاري تحقيق: علي مصطفى المصراتي، منشورات المكتب التجاري. بيروت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

الدوريات:

● مجلة دعوة الحق، عدد ٢٤٩ (١٩٨٥م)، مقال للأستاذ سعيد أعراب «موقف الموحدين من كتب الفروع، وحمل الناس على المذهب الحزمي».

● مجلة الذخائر ـ العدد٥، السنة الثانية، شتاء ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١هـ (ص٢٤٣ـ ٢٥٦) مقال مخطوطة أندلسية فريدة في الرد على ابن حزم الظاهري، سمير القدوري.

● مجلة المناهل، عدد ٧ سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م (ص٢٤١ـ ٢٦١) مقال «شيوخ ابن حزم في مقروآته ومروياته» محمد المنوني.

● مجلة هسبريس تامودا (tamuda Hesperis) الرباط ـ ١٩٧٣م (١٣٩٤هـ) المجلد ١٤، مقال للتهامي الزموري، تحقيق قسم «الاحتساب» من كتاب نوازل الأحكام للقاضي عيسى بن سهل (ت٤٨٦هـ).

● **المخطوطات:**

● التنبيه على شذوذ ابن حزم: للقاضي عيسى بن سهل، شريط رقم ٥، الخزانة العامة بالرباط.

● الرد على الطائفة الأندلسية الضالة: لأحمد بن حسن الورياجلي المعروف بالصغير، مخطوطة رقم ٣/٣٣٣ بالخزانة الصبيحية. سلا ـ المغرب.

● تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل: للقاضي أبي طالب عقيل بن عطية القضاعي، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم (ق، ١٠٩).

● **المراجع الأجنبية:**

- «Aben Hazam de cordoba y su Historia critica de las ideas religiosas». Miguel Asin Palacios. (Tomo.I) Madrid 1927.

- Ibn Hazm et la polémique islamo-chrétienne dans l'histoire de l'islam. Thése de doctorat presentée par Abdelilah al jâmi à la faculté de théologie de TILBOURG. Pays-Bas, 27 juin 2001.

- Revista: Al-Qantara: XIV. Madrid 1993. Fax 1. p.p:109-125.

- Sarah Stroumsa: «From Muslim Heresy to Jewish- Muslim Polemics: Ibn Al-R wandi's kt b Al-D migh» Journal of American oriental society 107/4(1987), 767-772.

- ZDMG. 1894: Martin schreiner: «Die apologetische schrift des Saloma b. Adret gegen einen Muhammedaner». p(39-42).